

فلسطين للمسلمين بالفتح العمري
وبطلان نظرية
«الحق التاريخي» (ص ٧)

أزمة مياه النيل
بين مطرقة المستعمرين
وسندان حكام حوض النيل (ص ٢٣)

القول المختار في اتحاد المسلمين
في الصيام والإفطار (ص ٨٤)

الوحي
جامعية - فكرية - ثقافية
www.al-waie.org

هل مفاوضات واشنطن هي مفاوضات الاعتراف بيهودية دولة (إسرائيل)؟



الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية
www.al-waie.org

محتويات العدد:
السنة الخامسة والعشرون - العددان ٢٨٥-٢٨٤
رمضان وشوال ١٤٣١ هـ - أيلول وتشرين ٢٠١٠ م

- كلمة الوعي: هل مفاوضات واشنطن هي مفاوضات الاعتراف بيهودية دولة (إسرائيل)؟..... ٣
- فلسطين للمسلمين بالفتح العمري ويطلان نظرية «الحق التاريخي»..... ٧
- أزمة مياه النيل بين مطرقة المستعمرين وسندان حكام حوض النيل..... ٢٣
- الأزمة المالية العالمية وأثرها على البلدان العربية..... ٤٠
- الاندماج وحقوق الأقليات..... ٤٦
- ملك السويد يطلب اللجوء لدى الإمبراطورية العثمانية..... ٥١
- أخبار المسلمين في العالم..... ٥٤
- الصحوة الإسلامية: حقيقة لا خيال..... ٦٢
- محمد محمد حسين رجل عرف الحق فقال به وصبر عليه..... ٦٧
- الرعاية الصحية في الدولة الإسلامية (٦)..... ٧٨
- القول المختار في اتحاد المسلمين في الصيام والإفطار..... ٨٤
- مع القرآن الكريم: حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين..... ٨٨
- رياض الجنة: سيد الأنصار «سعد بن معاذ» ﷺ مكرم عند ربه..... ٩١
- فبهدهم اقتده: سلسلة أمهات المؤمنين (٧): جويرية بنت الحارث..... ٩٢
- فتيان التحرير (قصيدة)..... ٩٧
- كلمة أخيرة: من يرسم دور الدول الصغيرة؟..... ٩٩

إلى السادة الكتاب:

- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في «الوعي» دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل «الوعي» إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها ولا فعلى الكاتب ذكر المصدر.
- لـ «الوعي» حق تصحيح المواضيع المرسله، وهي غير ملزمة بإعادة المواضيع التي لم تقبل للنشر.
- نرجو ترقيم جميع الآيات القرآنية ووضع خط تحتها وتحت الأحاديث النبوية الواردة في المقالات وتخريجها.

ثمن النسخة:

- لبنان : ٢٠٠٠ ل.ل.
- ألمانيا : ٢ يورو
- أميركا : ٥ دولار أميركي
- كندا : ٥ دولار كندي
- أستراليا : ٥ دولار أسترالي
- بريطانيا : ٢ جنيه إسترليني
- السويد : ٣٠ كورون سويدي
- الدانمرك : ٣٠ كورون دانمركي
- بلجيكا : ٢ يورو
- سويسرا : ٤ فرنك سويسري
- النمسا : ٢ يورو
- باكستان : ٢ دولار أميركي
- تركيا : ٢ دولار أميركي
- اليمن : ٨٠ ريال

لإرسال مواضيع للمجلة:

subjects@al-waie.org

للمراسلة:

info@al-waie.org

هل مفاوضات واشنطن

هي مفاوضات الاعتراف بيهودية دولة (إسرائيل)؟

يحدث الآن مع أوباما، إذ لم يعد للانتخابات النصفية لمجلسي النواب والشيوخ سوى شهرين حتى قال المحللون: إن أوباما مهتم بالشروع بالمفاوضات وليس بنتائجها. وبهذا تكون ورقة الضغط الأميركية على (إسرائيل) قد ضعفت، بل يمكن أن يقال إنها انتقلت إلى يد (إسرائيل) سواء على أميركا أم على عباس. وبهذا سيكون عباس في المفاوضات بين فكي الضغط الأميركية - (الإسرائيلية)، ثم إنه أعطيت مدة سنة واحدة لتحقيق المفاوضات أهدافها، ومعلوم أنه بعد سنة لن يبقى إلا سنة واحدة تقريباً لموعد الانتخابات الرئاسية في أميركا، ما يعني أنها مفاوضات سوف لن تسفر عن حل أميركي شامل، بل عن حل (إسرائيلي) جزئي.

وهذا ينقلنا إلى الحديث عن خطورة مثل هذه المفاوضات والمؤتمرات والمعاهدات، إذ يشكل عقد كل واحد منها حلقة من حلقات تصفية القضية الفلسطينية. ففي كل مؤتمر من مؤتمرات القمم التي تناولت القضية الفلسطينية أو المفاوضات أو المعاهدات أو الاتفاقات التي أبرمت عقب كل مفاوضات بشأنها كان يتم التنازل عن مسألة من مسائل الصراع، وذلك تحت شعار تنازلات مؤلمة، فيلتزم الجانب الفلسطيني فيما يتعلق به بقوة، ولا يلتزم الجانب (الإسرائيلي) فيما يتعلق به بشيء، وهذا يؤدي إلى أن يصبح التنازل ملزماً بحق الجانب الفلسطيني والعربي،

انطلقت في ٢٠١٠/٩/٢م مفاوضات واشنطن لإنهاء الصراع (الإسرائيلي) - الفلسطيني كما تسميه الولايات المتحدة بحضور عباس ونتياهو كطرفي نزاع، وحاكمي مصر والأردن بوصفهما يقيمان علاقات رسمية مع يهود، وهي انطلاقة تعتبر خجولة جداً قياساً لما أعلنه أوباما في برنامجه الانتخابي وما بعد فوزه من أنه يريد جاداً إنهاء هذا الصراع الذي بات يشكل خطراً على وجود وجنود الولايات المتحدة في المنطقة، وعبئاً على مصالحها... وهي انطلاقة لا تتناسب مع الاندفاع القوية لما أعلن سابقاً من أنه سيكون مؤتمر سلام شاملاً على غرار مؤتمر مدريد يجمع كل الأطراف وينهي القضية كاملة، فإذا به يقتصر على من ذكرنا وسط توقع الجميع أن لا تسفر عن شيء يذكر، وليس كما يروج الأميركيون ويردده الببغاويون من أنها فرصة قد لا تتكرر... فما الذي خفف من اندفاعتها حتى جعلها أقل من عادية؟

إن كل رئيس أميركي يقوم مع حزبه الذي ينتمي إليه بتحقيق سياسة بلده من خلال اتباع سياسة التزاوج بين تحقيق مصالح بلده ومصالحه ومصالح حزبه الانتخابية، وخاصة إذا كان رئيساً من الدورة الأولى. وحيث إن السياسة الخارجية للولايات المتحدة غالباً ما تكون واحدة؛ لذلك يطغى المظهر الانتخابي على ما عداه؛ ولذلك غالباً ما يتأخر تنفيذ الخطط أو تتبدل بسبب هذا العامل، وهذا ما

سلام، الشرعية، وهذه النقاط الأربع تبين بشكل واضح أن لا سلام نهائياً منشوداً (إسرائيلياً) فالأمن المقصود به (إسرائيلياً) هو لحماية يهود وضبط أي عمل مقاوم ضدهم وتحميل المسؤولية عنه لعباس، وهو يعني فيما يعني إبقاء الخصام الفلسطيني - الفلسطيني وتسعيه. وأما يهودية دولة (إسرائيل)، وهي نقطة يتبناها الأميركيون كذلك، فإن أقل ما تعنيه هو التخلي عن عودة اللاجئين، فهي تحول النظرة إلى الصراع تحولاً جذرياً، إذ يصبح الكيان (الإسرائيلي) المغتصب، بمجرد الاعتراف بها دولياً، هو الأصل، واليهود هم أصحاب الحق والأرض، والوجود الإسلامي الفلسطيني هو العارض. وتصبح كل مجازر (إسرائيل) بحق أهل فلسطين (كانت ومازالت) تصب في خانة الدفاع المشروع عن الحق والأرض ويهود، وكل عمليات المقاومة هي المعتدية. ويصبح لـ(إسرائيل) الحق في تهجير مسلمي فلسطين من أراضي الـ٤٨ للحفاظ على خصوصية يهودية الدولة... أما ما ذكره أن عباس شريك سلام فحتى يكون توقيعه لأي اتفاق يتم التوصل إليه من حيث يهودية دولة (إسرائيل) ملزماً فلسطينياً لأنه قد صدر من شريك سلام. وأما الشرعية فحتى يكون هذا الاعتراف ملزماً من زاوية الشرعية الدولية. وبهذا يمكن اختصار مفاوضات واشنطن بأنها سعي (إسرائيلي) للاعتراف الفلسطيني بيهودية دولة (إسرائيل) حتى يكرس عالمياً.

أما عباس فقد طرح في المؤتمر الصحفي نفسه نقاط رؤيته: فمن كونه شريك سلام فقد أعلن أنه يمثل في هذه المفاوضات منظمة التحرير الفلسطينية ليعطي لنفسه حق تمثيل الشعب الفلسطيني، وحتى يكون أي اتفاق معه

ويصبح شرعياً بحسب الشرعة الدولية ولا يحق الرجوع عنه، فمع مثل هذه المؤتمرات سابقاً، سواء منها مؤتمرات القمم أم مؤتمرات السلام، أم المعاهدات التي أبرمت عقب مثل هذه المفاوضات أصبحت قضية فلسطين عند هؤلاء هي قضية الفلسطينيين فقط بعد أن كانت قضية المسلمين جميعاً، ومعها أصبحت منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للفلسطينيين، ومعها تم التنازل عن تحرير فلسطين من النهر إلى البحر وعن أراضي فلسطين ما قبل الـ٦٧، ومعها أنشئت السلطة الفلسطينية، ومعها قزمت القضية الفلسطينية حتى أصبح يعبر عنها بقضايا الحل النهائي الست. وتقوم (إسرائيل) بتفكيك هذه القضايا واحدة واحدة وضعفعتها وفكفكتها وبعثرتها حتى لا يمكن جمعها... وتأتي هذه المفاوضات لتصب بهذا المنظور (الإسرائيلي)؛ لذلك هي لن تكون لإيجاد الحل النهائي، وإنما لتصفية مسائل الحل النهائي، فمثل هذه المؤتمرات مزقت القضية الفلسطينية كل ممزق، ومن هنا خطورة عقد مثل هذه المفاوضات لأنها تجري بين طرفين: (إسرائيلي) متمسك بتصوره لتصفية القضية الفلسطينية، وفلسطيني مفرط لا يحمل نفس تصور دينه وشعبه وبالتالي قدسية قضيته.

هذا هو الكلام العام في مثل هذه المؤتمرات، أما ما يتعلق بخصوصية هذا المؤتمر من هذا الجانب الذي ذكرناه، فقد طرح نتيا هو في المؤتمر الصحفي الذي عقد في ٩/٢ عقب الاجتماع الأول مع عباس وبحضور كلينتون نقاط البحث التي يسعى لحلها في هذه المفاوضات وتختصر في أربع: الأمن، يهودية دولة (إسرائيل)، عباس شريك

به المفاوضات، إن كل واحد من الحاضرين كان يحمل سكينه لغرسها في جسم القضية الفلسطينية وتقطيعها. فالجانب الأمريكي يريد السلام الأمريكي الذي يؤمن السيطرة الأمريكية ويحقق المصالح الأمريكية في المنطقة، و(إسرائيل) تحضر المفاوضات حاملة ورقة التنازل المتعلقة بيهودية دولة (إسرائيل) وتريد من الجانب الفلسطيني التوقيع عليها، لتصبح فيما بعد ملزمة وشرعية ويبنى عليها مقتضاها. أما الجانب المصري فلا يهم مبارك الفاني إلا الرضا الأمريكي و(الإسرائيلي) عنه لمصلحة توريث ابنه جمال الحكم بعده. أما الجانب الأردني فإن ما يهمه هو حدوث اتفاق -أي اتفاق- يسفر عن دولة فلسطينية ولو على مزرعة حتى يبعد عن دولته كأس الوطن البديل. أما الجانب الفلسطيني فستتم عملية ابتزازه حتى يتشجع ويوقع من غير خوف من العواقب. وهكذا تتجمع العوامل من جديد، على تصفية القضية الفلسطينية، وهكذا هي الحال مع كل مفاوضات تحدث.

إن مثل هذه المفاوضات تنازلية تهدف إلى تصفية القضية الفلسطينية بالتدرج لمصلحة يهود، وخيانية تحقق أهداف أعداء الأمة على حساب المسلمين ودينهم، وفي هذه المفاوضات بالذات ظهر عباس ممثلاً ضعيفاً على شعبه لا ممثلاً لشعبه. وذلك عندما أعلن أنه لن يقبل بالدخول في المفاوضات إذا لم يتم تمديد تجميد (إسرائيل) للاستيطان الذي ينتهي في ٩/٢٦. فلماذا لم يعلن أنه لن يقبل الدخول في مفاوضات إذا عرضت (إسرائيل) بند يهودية الدولة؟ أو إذا لم تعترف (إسرائيل) اعترافاً أولياً بالقدس عاصمة للدولتين (بحسب قناعاته)؟ أو إذا لم يتم اعتراف (إسرائيل) بحق

ملزماً لشعبه. وعن الأمن فقد أعلن أنه «قضية أساسية بيننا وبينكم» وذكر أن لديه أجهزة أمنية (يقودها الجنرال الأمريكي دايتون) تقوم بعملها بقوة رغم أنها في بداياتها، وأعطى مثالا على ذلك القبض على منفذي العملية الأمنية الأخيرة التي أسفرت عن مقتل أربعة مستوطنين، هذا عدا عن اعتقال المئات من المتهمين بأنهم ضد سياسته. وعن الشرعية فقد أعلن أنه ملتزم بها قائلاً: «ونجدد التزامنا بتنفيذ كل ما ترتب علينا من التزامات» وعن التزام الاعتراف بدولة (إسرائيل) ذكر أنه في ٩/٩/١٩٩٣م وقع ما يسمى بوثيقة الاعتراف المتبادل، وفيها الكافي من أجل أن تعرفوا نوايانا الكاملة الطيبة فيما يتعلق بالاعتراف بدولة (إسرائيل) وذكر أنه كذلك في كمب ديفيد كان هناك التزامات قمنا بتنفيذها كلها لأننا نحترم الالتزام... فهذه نقاط ثلاث مشتركة وبقيت النقطة الرابعة والتي يتوقع أن تدفع (إسرائيل) المفاوضات لتبدأ بها، وتجعلها مفتاح الحل النهائي وكيفية أن تحققها في هذه المفاوضات، وسيساعدها على ذلك اقتناع الأميركيين بها، وحتى عباس نقل أنه مع بعض تفاصيلها، وهي قبوله بعدم عودة اللاجئين وقبوله بتعويضهم وترتيب أوضاعهم حيث هم، وجعل العودة إفرادية لا جماعية وما شاكل ذلك...

وهكذا يمكن القول بتحول الإعصار الأمريكي لتحقيق السلام إلى عاصفة (إسرائيلية) عادية ستسفر عن التنازل عن حق عودة اللاجئين، وبهذا يتم تصفية هذا البند، بل والأخطر من ذلك هو أنها ستسفر عن الاعتراف بيهودية دولة (إسرائيل).

وإننا لا نغالي إذا قلنا إن اجتماع القمة الخامس الأول الذي عقد في ٩/٢ الذي افتتحت

عودة اللاجئين؟...

إن عباس يحضر المفاوضات وهو مثقل مع زمرة بالفضائح (جنسية ومالية وتجسسية) وهو مهتوك الستر يخشى من كشفها، وهناك ابتزاز مارسته (إسرائيل) ضده في الداخل إذ كشفت رئيس ديوانه بفضيحة جنسية مصورة عبر وسائل إعلامها وهددت بكشف المزيد، فهل يعقل أن يمثل أشرف قضية للمسلمين أمثال من هم في السلطة الآن؟ أيعقل أن تكون بيد سماسرة وتجار دماء وأموال وأعراض، بيد أشخاص يتجسسون على بعضهم (كما حدث مع دحلان وتناولته وسائل الإعلام) أو يتخلون عن بعضهم (كما حدث مع عرفات وتناولته وسائل الإعلام) ويسكتون عن جرائم (إسرائيل) على شعبهم مقابل صفقات مالية ومواقع سياسية (كما حدث مع غزة وتناولته وسائل الإعلام)... إن من ينظر إلى مدى تغلغل اليد (الإسرائيلية) في العيب بالسلطة يعرف أن ما من واحد من مسؤوليها أبقى فيها إلا لرضا يهود عنه حتى ليقول الواحد منا إن (إسرائيل) عندما تفاوض هذا الطرف فكأنها تفاوض نفسها.

وإننا في هذا المجال نقترح أموراً عساها تلقى قبولاً عند أهل فلسطين وتشكل رأياً عاماً بينهم تجعل من لا يلتزم بها مرفوضاً، وتفتوت على من يدعون تمثيلهم كل مؤامراتهم وتواطؤاتهم:

• إن قضية فلسطين هي قضية إسلامية يفصل بها الإسلام وحده، وهي قضية تهم كل المسلمين وليس أهل فلسطين فحسب.

• إن دولة (إسرائيل) وجود مغتصب لا يجوز الاعتراف به، ومجرد التفاوض معه، بغض النظر عن النتائج، حرام لأنه يعد اعترافاً به، بل يجب القضاء عليه.

• أن لا السلطة الفلسطينية، ولا منظمة

التحرير الفلسطينية، ولا غيرهم من الأطراف يمثلون القضية الفلسطينية ويتكلمون باسمها. • إن يهود أعداء حقيقيين للأمة الإسلامية، ولا لقاء معهم إلا في ساح الجهاد، والواجب شرعاً هو طردهم والقضاء على دولة (إسرائيل) والابتعاد عن التفاوض السياسي أو الدخول في حالة سلام أو صلح معها، والابتعاد عن التجاذبات السياسية لحكام العرب؛ لأن تجاذباتهم هي امتداد للصراع الدولي وهم أدوات فيه.

• إنه إذا كان لا يوجد من حيث الواقع من لا يستطيع أن يحرر فلسطين، فيجب أن لا يقبل أن يكون هناك حل بديل غير شرعي، بل يصبر حتى يوجد الواقع الذي يمكنه من ذلك، وهو أن يعمل مع العاملين لإقامة الخلافة التي هي بمستطاعها أن تقيم الدولة القوية، وتضم سائر الأقطار الإسلامية بعد أن تقضي على الكيانات المصطنعة، وتعيد الأمة الإسلامية أمة واحدة تقف في وجه أميركا و(إسرائيل). إن الوقائع السياسية تشير بوضوح إلى اتجاه حل القضية الفلسطينية نحو هذا الحل وهو الحل الذي ذكرته النصوص في القرآن والسنة.

هذا الحل نعرضه في كل مرة، وفي كل مرة نعرضه فيها نزداد وثوقاً أن قضية فلسطين هي أشرف القضايا الإسلامية لخصوصيتها وحلها أكبر من الولايات المتحدة وأوروبا وكل من دار في فلهم، إن قضية فلسطين لن يحلها إلا دولة على مستوى الخلافة الإسلامية فإذا أردتم اختصار المآسي، وتقريب تحقيق الهدف فليس أمامكم إلا إرضاء الله في إقامة دولة الخلافة الراشدة التي تقاتل يهود فتقتلهم وتقضي عليهم، وإن ذلك لكائن إن شاء الله بوعده رسول الله الصادق المصدق:

«ثم تكون خلافة راشدة» □

فلسطين للمسلمين بالفتح العمري

وبطلان نظرية «الحق التاريخي»

علاء محمد - فلسطين

مقدمة:

إن الإنسان الذي يحمل عقيدة راسخة، وينضبط بمفاهيم تحدّد سلوكه هو الإنسان المبدئي الذي تكون أعماله وأفعاله تدور في دائرة المبادأة بالفعل بناءً على مفاهيمه، ولا تدور أفعاله في دائرة ردود الفعل؛ وذلك لوضوح طريقه، وثبات فكره، ورؤيته لغايته.

وأما من خبت ناره، فهو يدور في دائرة ردود الفعل، فليس له فعل يبتدئ به، وإنما له رد فعل على فعل قد فعله غيره. وهذا ما تعاني منه الأمة الإسلامية اليوم، فالمسلمون اليوم بشكل عام لا يقومون بالفعل ابتداءً وإنما بردود أفعال لا ترقى إلى مستوى الفعل، ولا تتبع من وجهة نظر معينة، وإنما كل رد فعل بناءً على الفعل المقابل. ونحن كمسلمين مارس الكافر المستعمر وصنّاعه ضدنا هذه العملية، فلا توجد أمة سهلة الامتطاء -في هذا الزمان- كأمتنا، فمن أراد أن يختبر سلاحاً ففينا، ومن أراد أن يستعرض قوته ففينا... فنحن حقل تجارب للجميع.

الوعلي



سبيل إبطال دعوى اليهود بحقوقهم التاريخي في فلسطين، وإثبات عروبة فلسطين، وحقوق الفلسطينيين التاريخي فيها.

وسنحاول إلقاء الضوء على هذا الموضوع لبيان ما يتعلق به من خلال محاولة الإجابة على الأسئلة التالية:

ما المقصود بالحق التاريخي؟

متى ظهر هذا المفهوم؟

ما خطورة استعمال مفهوم الحق التاريخي؟

ولماذا نرفض فكرة الحق التاريخي؟

ما أحكام الأرض المفتوحة في الإسلام وكيف

تصبح إسلامية؟

كيف فتحت فلسطين؟ وما حكمها؟

ما مكانة فلسطين في الدين الإسلامي؟

هل يحق لنا المطالبة بفلسطين بناء على

الحق التاريخي؟

كيف تحرر فلسطين من وجهة نظر

الإسلام؟

كيف تستطيع الخلافة أن تحرر فلسطين؟

المقصود بالحق التاريخي عند اليهود:

هو ذلك الحق الذي يدعيه اليهود في الأرض الموعودة -فلسطين-، حيث يزعمون أن فلسطين هي أرضهم التاريخية، وأن تاريخهم وتراثهم قد ارتبط بها، وأنهم الأصل في هذه البلاد، وأن غيرهم ليسوا من أبنائها وإنما عابرو سبيل. ويشيرون إلى فترات حكم داود وسليمان عليهما السلام.

و لقد قامت دولة (إسرائيل) على مجموعة

وانتصر الكافر المستعمر وصنّاعه من حكام المسلمين، حتى أصبح تسهيل الأمور الصعبة طريقاً ومنهجاً ومفهوماً، وعدم الاكتراث واللامبالاة قواعد وضوابط تضبط الأفعال وردود الأفعال... فلم يتحرك المسلمون عندما سقطت فلسطين سنة ١٩٤٨م وشرّد شعبها المسلم، بل حزنوا فقط من باب الشفقة والعطف وقالوا: يا حرام. وعندما هزم العرب سنة ١٩٦٧م، مرت الهزيمة وسميت بالنكسة ولم يتحرك للمسلمين ساكن، وذبح المسلمون في العراق وإيران والشيستان والبوسنة والهرسك على مدار سنوات ولم يتحرك للمسلمين ساكن، وذبح المسلمون في أفغانستان ولم يتحرك للمسلمين ساكن، فأين المفاهيم التي تحدد سلوكنا كمسلمين في الأفعال وفي ردود الأفعال؟ فليست قاعدة (خذ وطالب) من مفاهيمنا، وليست قاعدة (الدين لله والوطن للجميع) من قواعدها ولا من مفاهيمنا.

لذلك فإن تحديد المواقف وضبط السلوك حسب المبدأ الذي نعتقده في كل أمر واجب.

إن مفهوم الحق التاريخي عند المسلمين والذي سنتناوله في هذا البحث، ظهر عند يهود أولاً، ثم ظهر عند المسلمين كردة فعل، ولا ينبغي للمسلمين المطالبة بفلسطين بناء على الحق التاريخي. وإن المبرر وراء كتابة هذا البحث بالذات؛ هو ذلك الانسياق والانشغال من عدد من العلماء والمفكرين بالرد على هذه المقولة، وما بذلوه من الوقت والجهد في

إن المدقق للوقائع التاريخية، يلاحظ أن مفهوم الحق التاريخي عند اليهود لم يظهر إلا حديثاً، والذي يؤكد ذلك، أن بداية فكرة توطين اليهود في فلسطين لم تكن فكرة يهودية ابتداءً، ولم يكونوا يفكرون بها؛ بل كانت فكرة صهيونية مسيحية بروتستانتية؛ وذلك لأن الفكر المسيحي الصهيوني يستند إلى عقيدة عودة المسيح المخلص في آخر الأيام ليحكم العالم لمدة ألف عام يسود فيها العدل والسلام، ويرى معتقدو هذا الفكر. أنه لن يتحقق الخلاص، ولن يتم إلا بعودة اليهود إلى فلسطين، وقد تمكن الصهاينة المسيحيون من تحويل فكرة الاسترجاع أو العودة إلى فكرة سياسة استيطانية يعود فيها اليهود إلى فلسطين، وكان قيام حركة الإصلاح الديني علي يد «مارتن لوثر وجون كالفن» والتي لا ينتمي أصحابها إلى الكنيسة الكاثوليكية أو إلى الكنائس الشرقية، أصبحت العودة إلى التوراة أساساً لهذه الحركة الإصلاحية التي هي في جوهرها حركة تحريرية.

ومع انبعث التاريخ القديم في التوراة في المدارس المسيحية، تحولت فلسطين في الضمير البروتستانتية من الأرض المقدسة للمسيحيين إلى أرض الشعب المختار. وقد أدى ظهور حركة «البيوريتانية» أو حركة التطهر في بريطانيا في القرنين السادس عشر والسابع عشر إلى المزيد من الالتصاق باليهود، وتحويل المبادئ الدينية إلى مبادئ سياسية وأهمها

من الأساطير، منها الادعاءات التاريخية، وأخذ اليهود يزيفون التاريخ، ويزعمون أن لهم حقاً تاريخياً في أرض فلسطين، وبهذا الحق يملكون شرعية العودة إليها، وإقامة دولة لهم فيها، وتمّ تجميع كثير من يهود العالم في هذه الأرض بناءً على ذلك.

وتعد فكرة الحق التاريخي في فلسطين، من أهم الذرائع التي تقوم عليها الحركة الصهيونية، والتي ملئت بها أدمغة يهود العالم، ويزعم اليهود أنهم أصحاب الأرض المقدسة، لأن أجدادهم وآبائهم مكثوا فيها فترة زمنية في التاريخ القديم، وأقاموا فيها مملكة داود وابنه سليمان عليهما السلام، ثم مملكة يهوذا في جنوب فلسطين، ومملكة إسرائيل في شمالها، وذلك منذ ثلاثة آلاف عام.

لقد دأب قادة (إسرائيل) السياسيون والدينيون على القول: إن أرض فلسطين المباركة، هي أرض (إسرائيل) التاريخية التي عاش فيها أجدادهم وآبائهم العبرانيون و(الإسرائيليون)، وإن هذه الأرض ليست لشعب من الشعوب سواهم، لذا فهم أصحابها الشرعيون، وأن العرب الفلسطينيين أغراب عنها، وعليهم أن يرحلوا عنها إلى بلاد أخرى. والسؤال الذي يمكن أن يطرح هنا هو عن ظهور هذا المفهوم، هل وجوده مرتبط بوجود اليهودية أم هو مصطلح حديث؟ والإجابة على هذا السؤال هو موضوعنا القادم بإذن الله.

ظهور مصطلح الحق التاريخي عند اليهود:

بل لولا جذوره الأوروبية المسيحية الصهيونية البروتستانتية لطغت ورجحت فكرة الاندماج في المجتمعات الأوروبية والتي كانت مطروحة وبقوة.

وهذا يدل دلالة واضحة على أن هذا المفهوم لم يظهر إلا بعدما حملت المسيحية البروتستانتية رأي عودة اليهود وأقنعت بها اليهود، وبعدها استقر الرأي عندهم على فلسطين لتكون هي الوطن القومي لليهود.

المقصود بالحق التاريخي عند العرب أو أهل

فلسطين، ومتى ظهر؟

إن فكرة الحق التاريخي في فلسطين، لم تظهر إلا بعدما استقر رأي اليهود باتخاذ فلسطين وطناً لهم، وبادروا بالحديث عن هذا الموضوع. وحققهم التاريخي في فلسطين، وأنها أرض الآباء والأجداد وأرض الميعاد، عندها ظهر هذا المفهوم كدّات فعل عند المسلمين على مقولة اليهود هذه، وصاروا ينادون بالحق التاريخي للعرب في فلسطين، وأنه لا حق لليهود في القدس ولا في فلسطين، وقالوا: إنَّ القدس عربية، لأن الذي بنى القدس هم اليبوسيون، وهم العرب القدامى الذين نزحوا من شبه الجزيرة العربية مع الكنعانيين، وسكنوها إلى أن جاء إبراهيم عليه السلام مهاجراً من وطنه الأصلي بالعراق غرباً، ووُلد له إسحاق عليه السلام الذي وُلد له يعقوب عليه السلام الذي ارتحل بذريته إلى مصر (معنى هذا أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام دخلوا

الوعمي

فكرة عودة الشعب اليهودي إلى فلسطين.

لقد حمل القرن التاسع عشر الميلادي تطوراً بارزاً في طبيعة حركة العودة، حيث أصبحت فكرة العودة ركناً أساسياً في العقيدة البروتستانتية، وتشابهت الدعوات وكثرت، من رواد الفكر والصحافة والفنون، ومن المستكشفين والجغرافيين والسياسيين والعلماء، نعم لقد حملت المسيحية البروتستانتية رأي عودة اليهود قبل أن يحملها اليهود أنفسهم.

وظل اليهود طيلة قرن تقريباً لا يعرفون بالضبط ماذا يريدون، أدولة أم كياناً سياسياً مستقلاً، أم مجرد أرض وأي أرض؟ وهل هذه الأرض فلسطين أم الأرجنتين أم أوغندا أم قبرص، وكان هيرتزل حامل اللواء لهذه المشاريع قبل فلسطين، ولكن لم يتجاوب اليهود في العالم مع هيرتزل، فبدأ يغير خطته، ووجد أن الشيء الذي يمكن أن يلهب العواطف ويجمع اليهود في العالم معه هو قضية فلسطين، فبدأ يركز على فلسطين واقترح حكاية أرض الميعاد، وهذا يؤكد أن هرتزل كان في مساوماته مع القوى الاستعمارية المختلفة للحصول على مُستعمرة يهودية في أي مكان - يشير بدهاء إلى أن الحق التاريخي في فلسطين لم يكن سوى شعار حاشد لمشروع استعماري مَحض، وبناء عليه؛ فإنَّ المشروع الصهيوني كان في جذوره وبيئته الأساسية مشروعاً حديثاً وغريباً، قبل أن يكون مشروعاً يهودياً؛

القرضاوي في كتابه: «القدس قضية كل مسلم»، ومنهم يوسف حداد في كتابه: «هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين؟»، وبيان نويهض الحوت في كتابه: «فلسطين: القضية. الشعب. الحضارة»، وصالح الرقب في كتابه: «ليس لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين»، وغيرهم ممن لا مجال لذكرهم هنا.

وبعد أن تبين لنا أن ظهور هذا المفهوم عند العرب والمسلمين، كان كردة فعل على قول اليهود وادعائهم، كان لزاماً علينا أن نبين الخطورة الكامنة وراء استعمال هذا المفهوم وترديده.

خطورة استعمال مفهوم الحق التاريخي:

تأتي خطورة المطالبة بفلسطين بناء على الحق التاريخي من عدة أوجه:
أولاً: إن فكرة الحق التاريخي واحدة من سلسلة المؤامرات على بلاد المسلمين، حيث إن معناها وواقعها، إثبات من الذي سكن هذه الأرض قبل الآخر، فإن ثبت أن اليهود سكنوها قبلنا فمعنى ذلك أن الأرض ملكٌ لهم، وإن ثبت أن النصارى سكنوها قبل غيرهم فهم إذن أحق بها وهكذا.

ثانياً: يبرز خطر هذه الفكرة في إثبات الأرض أنهم يبحثون عن حق الفلسطينيين التاريخي في القدس والخليل ونابلس ولا يبحثونه في تل الربيع وعسقلان عروس الشام وصفد وعكا وحيفا واللد والرملة ويافا ودير

غرباء إلى فلسطين وخرجوا غرباء لم يمتلكوا فيها شيئاً).

كذلك مات موسى عليه السلام، ولم يدخل أرض فلسطين، وإنما دخل شرق الأردن، والذي دخلها بعده يشوع (يوشع)، وبقي فيها حتى الغزو البابلي الذي سحقها سحقاً ودمّر أورشليم وأحرق التوراة. «فلو جمعت كل السنوات التي عاشوها -أي اليهود- في فلسطين غزاة مخربين ما بلغت المدة التي قضاها الإنجليز في الهند أو الهولنديون في إندونيسيا».

وأكدوا ردهم هذا بأدلة تاريخية فقالوا: إن أكبر رقعة استطاع الكيان الصهيوني السيطرة عليها، في أي وقت من الأوقات لم تكن في العصور القديمة، وإنما في العصر الحديث فقط، عند احتلاله مجمل أرض فلسطين ومرتفعات الجولان وجنوبي لبنان وأرض سيناء وكان ذلك للمرة الأولى عام ١٩٦٧م.

ومن هنا ظهر هذا المصطلح عند المسلمين وبدأ البحث لإبطال دعوى اليهود، وإثبات دعوى الحق التاريخي للعرب في فلسطين. ويكون بذلك قد وقع المسلمون بالشرك الذي نصب لهم من قبل الكافر المستعمر. وقد قام العديد من العلماء والمفكرين بالانشغال بالرد على هذه المقولة، وبذلوا الكثير من الوقت والجهد في سبيل إبطال دعوى اليهود، وإثبات عروبة فلسطين.

ومنهم على سبيل المثال لا الحصر د. يوسف

لفرضية استرجاع كل أرض إسلامية غصبها الكفار.

• ومنها أن فكرة الحق التاريخي تعني إعطاء خبير في البلاد الحجازية لليهود؛ لأن الحق التاريخي فيها لهم قبل المسلمين، ولا حق للمسلمين في إسطنبول - القسطنطينية - لأن المسلمين لم يكونوا أول من سكنوها، عن أبي قبيل قال: «كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِي وَسُئِلَ: أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تَفْتَحُ أَوَّلًا الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟ فَدَعَا عَبْدُ اللَّهِ بِصُنْدُوقٍ لَهُ حَلْقٍ، قَالَ: فَأَخْرَجَ مِنْهُ كِتَابًا، قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَكْتُبُ إِذْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تَفْتَحُ أَوَّلًا قُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَدِينَةُ هِرَقْلَ تَفْتَحُ أَوَّلًا، يَعْنِي قُسْطَنْطِينِيَّةً» (مسند أحمد وصححه الألباني).

لذلك فإن ما يذاع ويشاع عن الحق التاريخي في فلسطين للفلسطينيين خاصة، وللعرب والمسلمين عامة، حتى يثبتوا لليهود بأننا أصحاب حق في فلسطين، ما هو إلا خرافة وألوية اخترعها الاستعمار لإبعاد المسلمين في فلسطين وفي غيرها عن التفكير في حقهم المبدئي فيها المبني على أساس العقيدة الإسلامية، وقبل الحديث عن إسلامية فلسطين، وكيف أصبحت ملكيتها للمسلمين جميعاً، علينا أن نعرف أحكام الأرض المفتوحة في الإسلام، وأين تقع أرض فلسطين من هذه الأحكام.

أحكام الأرض المفتوحة في الإسلام:

ياسين والولجة ولفته وسائر مدن فلسطين وقراها. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل قطعاً على أن الفكرة استعمارية خبيثة توضع حيث يريد الاستعمار.

ثالثاً: إن فكرة الحق التاريخي في تحرير واسترداد البلاد. فكرة باطلة ليس عليها دليل من الشرع يجيزها لا في الكتاب ولا في السنة ولا في إجماع الصحابة، فوق كونها تخالف الطريقة الشرعية في تحرير المقتصب من بلاد المسلمين وطرد الغاصب.

رابعاً: إن فكرة الحق التاريخي. تصطدم مع كثير من الأحكام والأمر التي سار عليها المسلمون جيلاً بعد جيل منذ القرون الأولى للإسلام.

• ومن هذه الأحكام أن فكرة الحق التاريخي لا تعطي بلالاً الحبشي وصهيياً الرومي وسلمان الفارسي وأبناءهم الحق في فلسطين، لأنهم ليسوا من أصل عربي أو كنعاني، وهذا مناقض لأحكام الإسلام القاضية بأن العالم الإسلامي كله موطن لكل المسلمين أياً كان لونهم وجنسهم، فلا وطنية ولا قومية في الإسلام.

• ومنها عدم المطالبة باسترداد الأندلس التي فتحها المسلمون ووطئوها قروناً وحكموا أهلها بالإسلام، وعدم المطالبة كذلك باليونان وقبرص وصقلية من المدن والبلاد التي فتحها المسلمون وطردتهم الكفار منها لمجرد أن المسلمين ليسوا أول من سكنها، وهذا مخالف

أرض عشر بمنزلة المدينة حيث أسلم أهلها مع رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وكانت أرضهم أرض عشر وكذلك الطائف.

وكذلك أهل البادية إذا أسلموا على بلادهم فلهم ما أسلموا عليه وهو في أيديهم، وأرضهم أرض عشر لا يخرجون عنها فيما بعد ويتوارثونها ويتبايعونها، وكذلك كل بلاد أسلم عليها أهلها فهي لهم وما فيها. وأما قوم من أهل الشرك صالحهم الإمام على أن ينزلوا على الحكم والقسط وأن يؤديوا الخراج فهم أهل ذمة، وأرضهم أرض خراج، ويؤخذ منهم ما صولحوا عليه، ويوفى لهم ولا يزداد عليهم.

وأما أرض افتتحها الإمام عنوة فقسمها بين الذين افتتحوها فإن رأى أن ذلك أفضل فهو في سعة من ذلك، وإن لم ير قسمتها ورأى الصلاح في إقرارها في أيدي أهلها كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السواد فله ذلك وهي أرض خراج وليس له أن يأخذها بعد ذلك منهم، وهي ملك لهم يتوارثونها ويتبايعونها ويضع عليهم الخراج، ولا يكلفوا من ذلك ما لا يطيقون.

وجاء في كتاب المغني لابن قدامة المقدسي وهو على فقه الإمام أحمد بن حنبل «إن ما فتحه المسلمون عنوة ففيه ثلاث روايات:

إحداهن: إن الإمام مخير بين قسمتها على الغانمين، وبين وقفها على جميع المسلمين.

الثانية: إنها تصير وقفاً بنفس الاستيلاء عليها، وعلى ذلك اتفاق الصحابة.

إن كل بلد فتحها المسلمون وحكموها، تصبح إسلامية وتبقى كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فلو لم يبق عليها مسلم واحد تبقى إسلامية بحكم الفتح، سواء أكانت عشرية أسلم عليها أهلها، أم كانت خراجية فتحت عنوة أو صولح عليها أهلها، فقد جاء في كتاب الأموال لأبي عبيد بن سلام قوله «وجدنا الآثار عن رسول الله ﷺ والخلفاء بعده قد جاءت في افتتاح الأرضين بثلاثة أحكام: أرض أسلم عليها أهلها فهي لهم ملك أيماهم وهي أرض العشر، وأرض افتتحت صلحاً على خراج معلوم، وأرض أخذت عنوة».

ثم سرد الأخبار عن رسول الله ﷺ فمن ذلك فتحه ﷺ لخبير عنوة وتقسيمها بين المسلمين. ومنها: ما قاله الزبير بن العوام لعمر بن العاص لما فتحت مصر: أقسمها كما قسم رسول الله ﷺ. ومنها: قوله ﷺ: «أَيُّمَا قَرْيَةٍ أَتَيْتُمُوهَا وَأَقَمْتُمْ فِيهَا فَسَهْمُكُمْ فِيهَا، وَأَيُّمَا قَرْيَةٍ عَصَتْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ خُمْسَهَا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ثُمَّ هِيَ لَكُمْ» (صحيح مسلم).

وجاء في كتاب الخراج لأبي يوسف في بيان أحكام الأرض المفتوحة وأنها على نوعين عشرية وخراجية ما نصه: «قال أبو يوسف: وسألت يا أمير المؤمنين عن قوم من أهل الحرب أسلموا على أنفسهم وأرضهم ما الحكم في ذلك؟

فإن دماءهم حرام وما أسلموا عليه من أموالهم فلهم، وكذلك أرضهم لهم، وهي

الثالثة: إن الواجب قسمتها».

والفائدة من هذا الاختلاف في الرأي الفقهي أنه لو قامت الجيوش الإسلامية بفتح شيء من البلدان غير الإسلامية فلولي الأمر العمل في ضوء هذه النظريات في المسألة تقليداً أو اجتهاداً.

أما بالنسبة إلى أرض فلسطين حيث هي قضية قديمة، حدث فتحها وحسم الأمر فيها في حينه وعمل فيها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه باجتهاده وهذا هو موضوعنا التالي في البحث عن فتح فلسطين وحكمها.

فتح فلسطين وحكمها:

كانت فلسطين قبل الفتح الإسلامي تحت حكم الرومان، وفتح المسلمين لها كان عنوة، كان فتحاً عسكرياً أي أن جيوش المسلمين ذهبت إليها، وقاتلت وحاصرت وانتصرت وفتحت، وفي الفقه الإسلامي تُعرّف الأرض المفتوحة عنوة بتلك التي تفتح من قبل الجيش الإسلامي بعد حرب عسكرية بينه وبين أصحابها.

وفلسطين فتحت عن طريق دخول الجيش الإسلامي إليها بقيادة أبي عبيدة رضي الله عنه، وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعد حرب فعلية بين الجيش الإسلامي وجيش الروم، من أجنادين وانتصار المسلمين فيها، إلى اليرموك وانتصار المسلمين فيها، إلى حصار القدس والذي انتهى بعقد الصلح بين المسلمين وأهل البلاد وكتابة العهدة العمرية، فقد جاء في

تاريخ الطبري ما نصه "كان سبب قدوم عمر إلى الشام أن أبا عبيدة حضر بيت المقدس، فطلب أهله منه أن يصالحهم على صلح أهل مدن الشام، وأن يكون المتولي للعقد عمر بن الخطاب، فكتب إليه بذلك فصار عن المدينة".

ويؤيد ذلك أيضاً ما جاء في كتاب فتوح البلدان للبلاذري: «ثم طلب أهل إيلياء من أبي عبيدة الأمان والصلح على مثل ما صولح عليه أهل مدن الشام من أداء الجزية والخراج والدخول في ما دخل فيه نظرائهم على أن يكون المتولي للعقد لهم عمر بن الخطاب نفسه. فكتب أبو عبيدة إلى عمر بذلك، فقدم عمر فنزل الجابية من دمشق ثم صار إلى إيلياء فأنفذ صلح أهلها وكتب لهم به».

ومن هنا لا بد من معرفة موقف الخليفة عمر بن الخطاب منها بعد فتحها: هل قسمها على الغانمين أو أنه أبقاها وقفاً على المسلمين؟

وبالنسبة إلى كل واحدة من الحالتين ما هو موقفنا نحن المسلمين -الآن- من الناحية الشرعية؟

جاء في «المغني» لابن قدامة المقدسي ما نصه: «ولم نعلم أن شيئاً مما فتح عنوة قسّم بين المسلمين إلا خبير. فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قسم نصفها فصار ذلك لأهله، لا خراج عليه».

وسائر ما فتح عنوة مما فتح في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن بعده، كأرض الشام والعراق ومصر وغيرها لم يقسم منه

منذ أن كان القبلية الأولى للمسلمين، فهو أولى القبلتين، وثالث الحرمين.

وتوثقت إسلامية المسجد الأقصى وبيت المقدس خاصة وبلاد الشام عامة بحادثة الإسراء والمعراج، قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ، لِنُرِيَهُ، مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء ١] تلك المعجزة التي اختصت برسول الله محمد ﷺ، وما أن أدرك واستوعب المسلمون أهمية هذه المكانة الدينية الرفيعة للمسجد الأقصى وبيت المقدس وعلاقتها الوثيقة بالعقيدة الإسلامية، حتى بدؤوا بأسلمتهما مادياً وسياسياً. فكان الفتح العمري لبيت المقدس سنة ١٥ هجرية ٦٣٦ ميلادية، عندما فتحها الخليفة عمر بن الخطاب صلحاً، وأعطى لأهلها الأمان من خلال وثيقته التي عرفت بالعهد العمري. وهذه جملة من الآيات والأحاديث الواردة في فضائل بيت المقدس وبلاد الشام تبين فضل وأهمية ومكانة وعلاقة هذه الأماكن بالدين الإسلامي.

فمن خصائص بيت المقدس والشام:

١- أنها أرض القداسة والبركة: فهي لا تذكر في كتاب الله إلا مقرونة بوصف البركة أو القداسة، قال تعالى عن المسجد الأقصى: ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾، وقال تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿يَقَوْمُ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ [المائدة ٢١]

شيء. وروى أبو عبيد في الأموال: «أن عمر رضي الله عنه قدم الجابية فأراد قسمة الأرض بين المسلمين، فقال له معاذ: والله إذاً ليكون ما تكره، إنك إن قسمتها اليوم، صار الربيع العظيم في أيدي القوم، ثم يبيدون فيصير ذلك إلى الرجل الواحد والمرأة، ثم يأتي بعدهم قوم آخرون، يسدون من الإسلام مسداً وهم لا يجدون شيئاً، فانظر أمراً يسع أولهم وآخرهم، فصار عمر إلى قول معاذ». وقال أبو عبيد أيضاً: «فقد تواترت الآثار في افتتاح الأرضين عنوة بهذين الحكمين: أما الأول منهما فحكم رسول الله ﷺ في خيبر، وذلك أنه جعلها غنيمة، فخمسها، وقسمها، وبهذا الرأي أشار بلال على عمر في بلاد الشام. وأما الحكم الآخر فحكم عمر في السواد وغيره، وذلك أنه جعله فيئاً موقوفاً على المسلمين ما تتاسلوا، ولم يخمسه، وهو الرأي الذي أشار به عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومعاذ بن جبل رضي الله عنه. قال أبو عبيد: وكلا الحكمين فيه قدوة ومتبع من الغنيمة والفيء».

وهذا يعني -وبوضوح- أن كلمة الفقهاء المسلمين متفقة على أن أرض فلسطين وقفت للمسلمين عامة بفعل عمر، من كان موجوداً منهم عند الفتح الإسلامي لها، ومن سيوجد حتى تقوم الساعة.

مكانة فلسطين في الإسلام:

لقد ارتبطت مكانة فلسطين بقدسية المسجد الأقصى الذي ارتبط بالعقيدة الإسلامية

وقال تعالى حكاية عن الخليل إبراهيم عليه السلام في هجرته الأولى إلى بيت المقدس وبلاد الشام: ﴿وَبَنَيْنَاهُ لُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء ٧١] وقال تعالى: ﴿وَأَوْثَرْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعِفُونَ مَشْكُوفَ الْأَرْضِ وَمَعْرِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾

[الأعراف ١٣٧] وفي قصة سليمان عليه السلام يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء ٨١] وعند حديث القرآن عن هناة ورغد عيش أهل سبأ يقول سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾ [سبأ ١٨] وهي قرى بيت المقدس كما روي عن ابن عباس.

٢- مضاعفة أجر الصلاة في المسجد الأقصى: عن أبي ذر رضي الله عنه قال: «تذاكرنا -ونحن عند رسول الله- أيهما أفضل: أمسجد رسول الله أم بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ: صلاة في مسجدي أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى هو، وليوشكن أن يكون للرجل مثل شطن (حبل) فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعاً. قال: أو قال: خير له من الدنيا وما فيها» (المستدرک علی الصحيحین).

٣- دعوة سليمان عليه السلام بالمغفرة لمن صلى في بيت المقدس: فعن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «لَمَّا فَرَعَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ مِنْ بِنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سَأَلَ اللَّهَ ثَلَاثًا: حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ، وَمُلْكًا لَا يَنْبَغِي

لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، وَلَا يَأْتِي هَذَا الْمَسْجِدَ أَحَدٌ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ فِيهِ إِلَّا خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَمَّا اثْنَتَانِ فَقَدْ أُعْطِيَهُمَا، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ أُعْطِيَ الثَّالِثَةُ» (ابن ماجه).

والرجاء المذكور في الحديث متحقق لنبيين بإذن الله، كما استجاب الله لدعوات سليمان عليه السلام. ولأجل هذا الحديث كان ابن عمر رضي الله عنهما يأتي من الحجاز، فيدخل فيصلي فيه، ثم يخرج ولا يشرب فيه ماء مبالغة منه لتمحيص نية الصلاة دون غيرها.

٤- أنها حاضرة الخلافة الإسلامية في آخر الزمان: عن أبي حوالة الأزدي رضي الله عنه قال: «... ثُمَّ وَضَعَ [رسول الله ﷺ] يَدَهُ عَلَى رَأْسِي، أَوْ قَالَ عَلَى هَامَتِي، ثُمَّ قَالَ: يَا ابْنَ حَوَالَةَ، إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتْ أَرْضَ الْمُقَدَّسَةِ فَقَدْ دَنَتْ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَابِلُ وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنَ النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ» (أبو داود).

٥- المسجد الأقصى ثاني مسجد وضع في الأرض بعد المسجد الحرام: وفي البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه قال: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وَضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلًا؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى، قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْ الصَّلَاةُ بَعْدَ فَصْلِهِ فَإِنَّ الْفَضْلَ فِيهِ».

٦- قبلة المسلمين الأولى: كانت القبلة

٩- إليه تشد الرحال: أجمع أهل العلم على استحباب زيارة المسجد الأقصى والصلاة فيه، وأن الرحال لا تشد إلا إلى ثلاثة مساجد منها المسجد الأقصى، وتلك المساجد الثلاثة لها الفضل على غيرها من المساجد، فقد ثبت في الصحيحين من رواية أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «وَلَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَمَسْجِدِي هَذَا».

١٠- الحث على سكنائها: زار عدد كبير من الصحابة والعلماء والصالحين بيت المقدس وسكنوا في بلاد الشام، وصلوا في أكنافه، استجابة لدعوة رسول الله ﷺ بقوله: «عليكم بالشام فإنها صفوة بلاد الله، يسكنها خيرته من خلقه، فمن أبى فليحرق بيمنه، وليسق من غدرة، فإن الله تكفل لي بالشام وأهله» (الطبراني).

ولقد حرص المسلمون ومنذ الفتح العمري، على شد الرحال إلى المسجد الأقصى المبارك للصلاة فيه ونشر الدعوة الإسلامية، حتى إن الخليفة الفاروق عمر رضي الله عنه قام بتكليف بعض الصحابة الذين قدموا معه عند الفتح، بالإقامة في بيت المقدس والعمل بالتعليم في المسجد الأقصى المبارك إلى جانب وظائفهم الإدارية التي أقامهم عليها. فكان من هؤلاء الصحابة عبادة بن الصامت أول قاض في فلسطين، وشداد بن أوس، وتوفي هذان الصحابييان في بيت المقدس ودفنا في مقبرة باب الرحمة.

إلى المسجد الأقصى، لمدة ستة عشر أو سبعة عشر شهراً قبل نسخها وتحويلها إلى الكعبة ببلد الله الحرام. أخرج البخاري ومسلم بالسند إلى البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَحْوَ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا ثُمَّ صُرِفْنَا نَحْوَ الْكُعْبَةِ».

٧- مبارك فيه وما حوله: هو مسجد في أرض باركها الله تعالى، قال تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: 1] قيل: لو لم تكن له فضيلة إلا هذه الآية لكانت كافية، وبجميع البركات وافية، لأنه إذا بورك حوله، فالبركة فيه مضاعفة. ومن بركته أن فضل على غيره من المساجد سوى المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ.

٨- مسرى النبي ﷺ: كان الإسراء من أول مسجد وضع في الأرض إلى ثاني مسجد وضع فيها، فجمع له فضل البيتين وشرفهما، ورؤية القبلتين وفضلهما. أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «أُتِيْتُ بِالْبَرَّاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبُغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرَفِهِ، قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ، قَالَ: فَارْتَبَطْتُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْتَبُطُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ، قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ، فَجَاءَنِي جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنَاءٍ مِنْ خَمَرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَأَخَّرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جَبْرِيلُ: اخْتَرْتُ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ...».

الْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنَحَةِ مَلَكَينِ، إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطْرٌ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرَفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابٍ لَدِّ فَيَقْتُلُهُ...».

واللد مدينة معروفة في فلسطين، قال النووي فيها نهاية الدجال في بلاد الشام وحول بيت المقدس كما كانت نهايات أكبر أعداء الإسلام من الصليبيين في حطين والتتار في عين جالوت.

هذه بعض النصوص الشرعية التي تبين المكانة التي جعلها الله لبيت المقدس وما جاورها من أرض فلسطين، وما أوردناها إلا استئناساً بها للزيادة في التأكيد على إسلامية هذه الديار، مع أن الأمر حسم بإسلامية هذه الأرض، وبدأ حقنا -كمسلمين- في فلسطين منذ اليوم الأول الذي فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيه فلسطين، فأصبحت فلسطين إسلامية منذ أن فُتحت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب في عام ١٥ هجري. يعني حقنا في فلسطين بدأ قبل ١٤١٥ سنة، وعلى المسلمين أن يقاتلوا كل من ينازعهم هذا الحق. حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

فلا يجوز من مسلم أن يقلل من شأن القدس وأرض فلسطين والشام عموماً بعد كل هذه الفضائل.

وممن زار بيت المقدس من الصحابة عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، وأم المؤمنين صفية بنت حيي زوج رسول الله، ومعاذ بن جبل، وعبدالله بن عمر، وخالد بن الوليد، وأبو ذر الغفاري، وأبو الدرداء، وسلمان الفارسي، وعمر بن العاص، وسعيد بن زيد، وأبو هريرة، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين. وواصل علماء الإسلام من كل حذب وصوب شد الرحال إلى المسجد الأقصى للسكنى والتعليم فيه، فكان منهم الإمام الأوزاعي فقيه أهل الشام، والإمام سفيان الثوري إمام أهل العراق، والإمام الليث بن سعد عالم مصر، والإمام محمد بن إدريس الشافعي أحد الأئمة الأربعة.

١١- أرض المحشر والمنشر: في بيت المقدس الأرض التي يحشر إليها العباد، ومنها يكون المنشر، فعن ميمونة رضي الله عنها قالت: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفْتَنَا فِي بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، قَالَ: أَرْضُ الْمُحْشَرِّ وَالْمُنْشَرِّ، أَتَتْهُ فَصَلُّوا فِيهِ، فَإِنْ صَلَاةٍ فِيهِ كَأَلْفِ صَلَاةٍ فِي غَيْرِهِ، قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَتَحْمَلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: فَتُهْدِي لَهُ زَيْتًا يُسْرَجُ فِيهِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ كَمَنْ أَتَاهُ».

١٢- نزول عيسى عليه السلام ومقتل الدجال: ففي صحيح مسلم عن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: «ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَعَ حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ... فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ

تحرير فلسطين من وجهة نظر الإسلام

بالرجوع إلى الكتاب والسنة واستنباط الحكم الشرعي منهما، نجد أن الطريقة الشرعية التي ارتضاها رب العالمين لاسترداد البلاد المغتصبة هي الجهاد في سبيل الله، ولذلك اصطلح عند فقهاء المسلمين على مرّ العصور أنه: «إذا هجم العدو أو داهم أو نزل بلاد المسلمين أو اغتصبها أصبح الجهاد فرض عين على المسلمين الأقرب فالأقرب حتى يتحقق طرد ذلك الكافر منها».

وهذا الحكم مأخوذ من قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ [التوبة ١٢٣] ومن قوله: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ إِلَّا دُبَارَ﴾ [الأنفال ١٥]، ومأخوذ من قوله: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة ٤١]، ومن قوله: ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُ﴾ [البقرة ١٩١]، ومن قوله: ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تُولَّوهُمْ وَمَنْ يَّوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المتحنة ٩] ومأخوذ من مفهوم الرباط في سبيل الله، وأنه لا يكون إلا على ثغور بلاد المسلمين للدفاع عنها ورد الطامع من الكفار فيها وكفى به دليلاً.

ومأخوذ من دفع النبي ﷺ وصحبه الكرام لقريش عن المدينة المنورة يوم بدر وأحد، ومأخوذ من أحكام إغاثة الملهوف والمظلوم، ومأخوذ من حديث رسول الله ﷺ الذي رواه أحمد عن سعيد بن زيد أنه قال «مَنْ

الوعمي

قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ...».

فإذا كان هذا في شأن ما اغتصب من بلاد المسلمين عموماً، فكيف إذا كان الحديث عن أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وما حوله، فهو بلا شك يجب أن يأخذ الأولوية عند الأمة الإسلامية في تحريره واسترداده من مغتصبيه اليهود.

إن قضية فلسطين ليست هي قضية أهل فلسطين أو العرب وحدهم، بل هي في واقعها قضية إسلامية. إنها قضية أرض إسلامية، وقضية مقدسات إسلامية، احتلها اليهود بمؤازرة من الدول الكبرى: بريطانيا وأميركا. فكما عرفنا فلسطين أرض إسلامية، وهي الجزء الجنوبي من بلاد الشام، فتحها المسلمون، وأوقفها عمر بن الخطاب، وهي ملك لجميع المسلمين، وواجب على المسلمين استردادها، وأي تقريط في أي شبر منها هو خيانة لله ولرسوله وللمؤمنين، فالله أوجب على المسلمين الجهاد لاستنقاذ فلسطين من دولة يهود.

وربما يسأل سائل هل يمكن للمسلمين في هذه الأيام أن يقوموا بإعادة فلسطين كاملة إلى ديار الإسلام؟ والجواب على هذا السؤال هو -نعم- إن بإمكان المسلمين القضاء على كيان يهود، وإعادة كل شبر احتل من أرض الإسلام.

إن بإمكانهم كل ذلك، ومفتاحه إقامة

ربوع العالم، والقضاء على كيان يهود المحتل لفلسطين، أرض الإسراء والمعراج، وإعادتها كاملةً إلى دار الإسلام. فكيف للخلافة أن تفعل كل هذا؟

كيف تستطيع الخلافة أن تحرر فلسطين؟

علينا أن نعرف أولاً أن كل ما حصل للمسلمين ولبلادهم من تمزيق وإضعاف، حصل بعد أن تمكن الغرب من إضعاف دولة الإسلام ثم هدمها. فسقطت فلسطين بسبب مباشر ألا وهو سقوط الخلافة، وستعود بعودتها، ولبيان كيف للخلافة أن تحرر فلسطين، نبدأ بقول السلطان عبد الحميد (رحمه الله) لهرتسل حين راوده عن فلسطين: «إن فلسطين ليست ملك يميني، بل ملك الأمة الإسلامية، وإذا مزقت دولة الخلافة يوماً فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن. أما وأنا حي، فإن عمل المبضع في بدني لأهون علي من أن أرى فلسطين قد بترت من دولة الخلافة العثمانية. من الممكن أن تقطع أجسادنا ميتة، وليس من الممكن أن تشرح ونحن على قيد الحياة»، فلقد أدرك السلطان أن سقوط فلسطين هين سهل بتمزق الخلافة. وهاهي فلسطين تذهب بلا ثمن. لقد اعتبر أن الحياة للمسلمين تكون بوجود كيان الخلافة لهم وأن موتهم يكون بغياب هذا الكيان.

فلذلك إن اغتصاب فلسطين وضياع بلاد المسلمين يجب أن يربط بهدم دولة الخلافة ارتباطاً سببياً. فمواقف العثمانيين المشرفة

الوعمي

الخلافة الراشدة. فبلاد المسلمين هي بلاد المال والرجال، وفوق هذا وذاك، أرض المبدأ العظيم، الإسلام العظيم، الذي به تحيا الأمم وتُنقذ من الظلم والطغيان.

وبمراجعة التاريخ نرى أن هذا ثابت من خلال مراجعة تاريخ الدعوة الإسلامية حيث نجد أن المسلمين فتحوا الفتوح، وجعلوا أمماً كثيرةً تترك أديانها عن قناعة منها. وتصبح أمةً واحدةً، يجمعها الإسلام، ويحركها الإسلام. والمسلمون هم من هزم الصليبيين في حطين، بعد أن بنوا ممالك ودولاً في أرضهم، وأخرجوا من بلاد المسلمين.

والمسلمون هم من قهر التتار في عين جالوت، بل وأدخلوا بطوناً منهم في الإسلام، لا زالت بقاياهم في شمال بلاد المسلمين تحمل الإسلام إلى اليوم.

إن (إسرائيل) وأميركا وبريطانيا وأتباعهم، هم من جنس أولئك الغابرين، لم يتحملوا إلا معركةً واحدةً، اندحروا بعدها مهزومين، فقد كانت حطين بداية السقوط للصليبيين، وكانت عين جالوت فاتحة الانهيار للتتار. وهكذا هؤلاء، معركة فاصلة واحدة، تهدد بنيانهم وكيانهم، فَمَنْ غيرُ الخلافة يبدأ هذه المعركة؟

إن الخلافة وحدها هي الكفيلة بإزاحة أميركا وبريطانيا عن المسرح الدولي، والقضاء على تحكم أميركا بالموقف الدولي، وإنقاذ العالم من شرورها، ونشر الخير في

واحد بدلاً منهم يحكمنا بشرع الله ويوحد الجيوش ويوجهها لتحرير فلسطين من رجس الغاصبين.

وهذا يشبه إلى حد كبير ما فعله السلطان صلاح الدين حين وحد مصر والشام تحت راية خلافة واحدة هي الخلافة العباسية، وما فعله من قبله آل زنكي من توحيد الإمارات المتناحرة تحت رايتهم؛ ما كان له الأثر الكبير في التمهيد لتحرير فلسطين من الصليبيين بعد ذلك.

فالتفريق بين الحكم بالإسلام وبين تحرير فلسطين، والفصل بين القضيتين، لا يجوز شرعاً ولا يصح واقعاً. فالمسألتان متلازمتان لا مجال للانفكاك بينهما، وعليه فالقضية الفلسطينية بدأت مع سقوط الخلافة ولن تنتهي إلا مع ميلادها من جديد بإذن الله. فدولة الخلافة هي القادرة على إنهاء من يحرس يهود في بلاد المسلمين، وطرد الأميركيين وإنهاء نفوذهم، وتحريك الجيوش لتحرير بيت المقدس وكل أرض المسلمين السليبية، وإعادة فتح الأرض من جديد بإذن الله لنشر الخير والحق والعدل.

الخاتمة

إن مجرد التفكير في حق المسلمين في بيت المقدس وفي فلسطين عن طريق الحق التاريخي، يعد مخالفة شرعية وتعدياً على مصادر المسلمين الشرعية في إثبات أحقيتهم، ففلسطين فوق كونها فتحت على يد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فإن القرآن

الخالدة تجاه فلسطين أكبر من أن تتسى، ولعلها كانت من أوائل موجبات عمل الكفار لهدم دولة الخلافة. ذلك أنهم أدركوا استحالة وجود كيان لليهود في فلسطين بينما هناك خلافة، ومواقف العثمانيين تشهد بذلك، وما قول السلطان السابق إلا مثلاً على ذلك.

وهكذا إذا أدركنا أصل المشكلة وواقعها إدراكاً عميقاً، عندها يمكن وضع الحل الجذري لهذه المشكلة. والحل الجذري هو الحل المصيري، وهو الحل الشرعي الذي يرتضيه الله سبحانه لنا، وهو يكمن في الرجوع إلى الكتاب والسنة واستنباط الحكم الشرعي منهما، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور ٦٣] وقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة ١٨].

وهذا الحل هو أن تسترد هذه الأرض جميعها من قبضة الغرب ويهود، بالجهاد في سبيل الله، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمُ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة ١٩٠].

وحتى يستكمل هذا الحل، لا بد له من تحريك الجيوش أولاً للإطاحة بالحكام العرب الذين يحافظون على أمن يهود ويحرسونها من المجاهدين، لأن الجيوش الإسلامية لن تتمكن من القضاء على كيان يهود تحت إمرة هؤلاء. لذلك لا بد من إزالتهم وإقامة حاكم مسلم

جيلاً بعد جيل في فتح البلدان وتحريرها، منذ دولة النبي ﷺ إلى آخر دولة للمسلمين. وإن اللجوء إلى هذه الفكرة يدل دلالة واضحة على ضعف المسلمين فكرياً وعقائدياً ومادياً، فاسترداد ما اغتصب من بلاد المسلمين لا يكون إلا كما فعل نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي وأمثالهما من أبطال الأمة، عندما حرروا بلاد الشام وبيت المقدس من أيدي الصليبيين.

فعلى المسلمين جميعاً أن يعملوا بمستوى أمتهم المبدئية التي كانت خير أمة أخرجت للناس، وأن يعملوا على إيجاد دولة كدولة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي من جديد، وعلى إيجاد رجال كأمثال خالد وشرحبيل وصلاح الدين من جديد، كي يعدوا العدة كما أمر الله سبحانه، ليرهبوا بها عدو الله وعدوهم. كما طلب الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال ٦٠] وبهذا فقط تُسترجع البلاد ويُحرر العباد □

قد ذكرها وربطها بمكة المكرمة، قال الله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء ١].

وأما قول دعاة الحق التاريخي من أن أهل فلسطين اليوم من أصل كنعاني، فإنه اعتبار لرابطة القومية بدلاً من رابطة العقيدة الإسلامية، وقد ذمها رسول الله ﷺ كما جاء في حديث أحمد: «مَنْ تَعَزَّى بَعْزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعِزُّوهُ وَلَا تَكْنُؤُوا»، وروى أحمد وأبو داود من حديث رسول الله ﷺ «مَنْ انْتَسَبَ إِلَى تِسْعَةِ آبَاءٍ كُفَّارٍ يُرِيدُ بِهِمْ عِزًّا وَكِرَامًا فَهُوَ عَاشِرُهُمْ فِي النَّارِ»، وعند البخاري ومسلم من حديث مطول عن دعوى الجاهلية بقوله «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتَهَةٌ».

لذا فإن الناظر في النصوص الشرعية. وأفعال النبي ﷺ، وأقواله يجد أن فكرة الحق التاريخي فكرة باطلة ليس عليها دليل من الشرع، وتخالف ما درج عليه المسلمون



بسم الله الرحمن الرحيم

أزمة مياه النيل بين مطرقة المستعمرين وسندان حكام دول حوض النيل

بقلم المهندس محمد مصطفى - السودان

لقد ظهرت في الآونة الأخيرة مؤشرات تنبئ بانفجار أزمة في حوض نهر النيل التي ستكون عواقبها وخيمة على سكان حوض النيل، ففي الفترة ما بين ١٦-٢١ آب/ أغسطس ٢٠٠٩م قام وفدٌ من مسؤولين أفارقة رفيعي المستوى من دول منبع حوض النيل التي ثارت خلافات حادة بينها وبين دولتي المصب مصر والسودان في الاجتماع الذي جمع دول حوض النيل في الإسكندرية في أواخر شهر تموز/ يوليو ٢٠٠٩م حول تقسيم مياه النيل؛ قام هذا الوفد بزيارة إلى الكيان الصهيوني هذا الأسبوع، بترتيب من منظمة مشروع التبادل، وهي منظمة تابعة للجنة الأميركية اليهودية، إحدى أكبر منظمات «اللوبي (الإسرائيلي) الأميركي لدعم التعاون بين الكيان والبلدين في الشؤون التنموية والزراعية.

وعقب ذلك تمت زيارة وزير الخارجية (الإسرائيلي) يوم ٢٠٠٩/٩/٢م، أفيجدور ليرمان، إلى إثيوبيا وكينيا وأوغندا، وغانا ونيجيريا، التي استغرقت ١٠ أيام واختتمها،



يوم الجمعة ٢٠٠٩/٩/١١م.

وحسب المصادر (الإسرائيلية)، فإن ليبرمان بحث سبل إنشاء مشاريع مياه. وقالت هذه المصادر إن الدول التي زارها الوزير تعاني من مشاكل مياه، وإن (إسرائيل) لها تجربة جيدة، في مجال تحلية المياه، وعرضت خدماتها على مسؤولي تلك الدول.

ونقلت صحيفة «الشرق الأوسط» اللندنية عن ليبرمان قوله في لقاء مع الإذاعة (الإسرائيلية)، بعد ذلك الحين، إن جولته الأفريقية كانت ناجحة وفوق التوقعات. وإن قادة الدول الأفريقية سألوه عن سبب إهمال أفريقيا في السياسة الخارجية (الإسرائيلية).

ورافق ليبرمان وفد ضخم من كبار موظفي وزارات الخارجية والدفاع والمالية والتجارة والصناعة والزراعة، ووفد من رجال الأعمال، نصفهم من العاملين في حقل الصناعات العسكرية. ووقع على عدة اتفاقيات للتعاون في مختلف المجالات.

ويرى ليبرمان أن (إسرائيل) أهملت في الماضي دول أفريقيا وأميركا اللاتينية وآسيا وركزت على العلاقات مع دول الغرب، وبهذا خسرت دولاً حصتها من الاقتصاد العالمي تزيد على ٤٠٪. وقال إن جولدا مائير كانت آخر وزيرة خارجية من (إسرائيل) تزور أفريقيا، في نهاية الستينات، أي قبل حوالي ٤٠ سنة، وفي حينه كان لـ (إسرائيل) ٣٠ سفارة في أفريقيا، بينما يوجد لها اليوم تسع سفارات فقط.

وقد كشفت صحيفة الوفد المصرية في تلك الأيام أنه بعد زيارة ليبرمان لدول منبع نهر النيل، ستعقد (إسرائيل) في ١٧/١٠/٢٠٠٩م

وفي أرض المعارض بتل أبيب وعلى مدار يومين مؤتمراً هو الأخطر على مصر. وهو مؤتمر waterc-israel لتكنولوجيا المياه والبيئة والذي جمع ثلاثة من وزراء المياه في دول حوض النيل وهم وزراء المياه في كينيا وأوغندا وتنزانيا، بالإضافة إلى جمع غفير من كبار المسؤولين مكون من ١١٠ وفود من ٤٤ دولة من القارات الخمس؛ للتعرف على أهم الإنجازات (الإسرائيلية) في مجال تكنولوجيا المياه والبيئة.

فالأخطر والأهم في هذا المؤتمر هو وقائع تلك الندوة التي عقدت في اليوم الثاني للمؤتمر تحت عنوان: «المياه والتحديات البيئية التي تواجه أفريقيا والحلول العملية المقترحة» ثم أعقبتها محاضرة يلقيها وزير المياه والبيئة الأوغندي ماريما موتاجامبا وهي بعنوان: «قضايا المياه في أوغندا: مياه الأمطار وتنقيتها وتصنيعها»، ثم تلتها محاضرة لوزيرة المياه والري الكينية خيرية كالوكي نجيلو وعقدت تحت عنوان: «مشاكل وحلول بشأن قضايا المياه في كينيا»، وتلتها محاضرة لوزير المياه والري التنزاني علامة جيمس مواندوسيا وكانت تحت عنوان: «التعامل مع الماء والتحديات البيئية في تنزانيا»، وبعد الاستماع لمحاضرات الوزراء الأفارقة كانت محاضرات تم خلالها طرح رؤى مختلفة لحل مشاكل المياه في القارة الأفريقية، وحاضر فيها خبراء من (إسرائيل) ومن أفريقيا ومن بعض المؤسسات الدولية ومنها محاضرة «دور المؤسسات الدولية في أفريقيا وتحديات المياه والعمل الخيري» التي ألقاها جريج كوتش العضو المنتدب بشركة

في أعقاب نجاح المؤتمر السابق الذي عُقد عام ٢٠٠٧م والذي حضره نحو ١٩ ألف زائر من ٨١ دولة، لتوجيه الدعوة من جديد لحضور مؤتمر عام ٢٠٠٩م، وقال أورين إن ما يشهده العالم من زيادة سكانية سريعة وبالتزامن مع التطور الرهيب في مجال التكنولوجيا، دفعت (إسرائيل) للتفكير في تنظيم هذا المؤتمر الذي يهدف القائمون عليه إلى عقد لقاءات مباشرة بين مسؤولي الدول والمؤسسات الأكاديمية ورجال الصناعة وكبار المستثمرين لطرح ما لديهم من أفكار في مجال المياه، وتحدث رئيس المؤتمر عما أسماه بوجود حالة منافسة شديدة للحصول على موارد المياه والطاقة والحاجة للحفاظ على الحصول على تلك الموارد، وقال إن توفير المياه والطاقة أصبح أمراً ملحاً من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بل وحتماً من الناحية التاريخية، وأكد أنه لا يجب فصل التعامل مع قضيتي المياه والطاقة بشكل منفصل مشيراً إلى أنهما يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالواقع الذي تعيشه كافة دول العالم، وقال إن هذا الأمر يتطلب وجود تعاون دولي فعال على كافة الأصعدة والمستويات لإيجاد حلول ناجحة لها.

كل ذلك جعل أمراً تلقائياً أن تشير جولة ليبرمان ومن قبلها الأزمة المتعلقة بتقسيم حصص مياه النيل، فكرة مخاطر التغفل (الإسرائيلي) في دول حوض النيل، تلك الدول التي شهدت علاقاتها بـ(إسرائيل) تنامياً ملحوظاً منذ منتصف التسعينات من القرن الماضي، ما فسره المراقبون بأنه التطور «الأخطر» على الأمن المائي للدول.

كوكا كولا بالولايات المتحدة الأميركية والذي يشغل منصب رئيس قطاع التعاون والبيئة وموارد المياه، ثم تلتها محاضرة «آثار التدهور البيئي في المناطق الحضرية وإمدادات المياه والصرف الصحي» ويحاضر فيها نجينينجي تيموثي المدير الإقليمي بشركة سورايجي نيروبي للمياه الكينية، ثم قام كبار المسؤولين بوزارة الخارجية (الإسرائيلية) بعقد محاضرة خاصة تحت عنوان: «مائدة مستديرة: الحلول العملية للسوق الأفريقية لبحث أهم الاقتراحات والحلول الإسرائيلية التي تمت صياغتها خصيصاً من أجل دول القارة السمراء» ويحاضر فيها كل من عوديد فيكسلر نائب المدير العام بسلطة المياه (الإسرائيلية) وإيلان فلوس المدير العام بوكالة التنمية والتعاون الدولي بوزارة الخارجية (الإسرائيلية) وأمنون أوفن المدير المسؤول بشركة NAANDANJAIN المتخصصة في مجال الري، وجوزيف حاييم نائب رئيس مجموعة تاهال والمسؤول عن قطاع العمليات الخارجية للمجموعة في قارتي آسيا وأفريقيا.

(إسرائيل) تغوي الجميع بما لديها من تكنولوجيا، فلم تكف بدعوة كبار المسؤولين الأفارقة لحضور المؤتمر بل تعدى الطموح (الإسرائيلي) هذا الأمر، إذ وجدت فيه تل أبيب فرصة ذهبية لها من أجل الترويج لما تمتلكه من تكنولوجيا حديثة لدول العالم، وهو الأمر الذي كشفته الدعوة التي بعث بها رئيس المؤتمر زخري بوكي أورين للمشاركين من أنحاء العالم في وقائع المؤتمر، والتي أكد فيها أن (إسرائيل) انتهزت الفرصة من جديد

إضافة إلى ذلك، تستخدم (إسرائيل) الجانب الاقتصادي بهدف أساسي وهو تأمين سيطرتها على مشروعات الري والمياه في دول حوض النيل، فقد نجحت بمساعدة الولايات المتحدة في تأمين سيطرتها على بعض مشروعات الري في منطقة البحيرات، حيث تقوم بتقديم الدعم الفني والتكنولوجي من خلال الأنشطة الهندسية للشركات (الإسرائيلية) في مجال بناء السدود المائية.

وقدمت (إسرائيل) دراسات تفصيلية إلى زائر ورواندا لبناء ثلاثة سدود، كجزء من برنامج شامل لإحكام السيطرة على مياه البحيرات العظمى.. وقام خبراء (إسرائيليون) باختبارات للتربة في رواندا، حيث يتوجه الاهتمام (الإسرائيلي) بوجه خاص إلى نهر كاجيرا الذي يمثل حدود رواندا مع بوروندي في الشمال الشرقي.

وبشكل عام، تحاول (إسرائيل) من خلال تغلغلها في دول حوض النيل، تهديد الأمن المائي لمصر والسودان، وتوسيع معركتها مع العالم العربي إلى خارج الحدود الضيقة، وذلك بهدف التخفيف من عبء جبهة المواجهة المباشرة مع إسرائيل من جانب، والعمل على إضعاف الدول العربية الكبرى مثل مصر بشكل غير مباشر من جانب آخر.

فجولة ليبرمان الأفريقية ومن قبلها الكم الهائل من التسيريات الإعلامية (الإسرائيلية) عن وجود مشروعات مختلفة مع دول حوض النيل، والتي يرى الكثير من المهتمين بالشأن (الإسرائيلي) أن تسريبها يهدف بالأساس إلى إشاعة أجواء من التخويف والضغط على الدول

كما تأتي زيارة ليبرمان لتوضح بشكل أكبر أثر بصمات الأصابع (الإسرائيلية) في منطقة حوض النيل، إما من خلال التغلغل الاقتصادي أو من خلال التعاون التجاري أو حتى من خلال توثيق العلاقات السياسية والعسكرية - الأمنية.

فالسياسة (الإسرائيلية) تهدف بالأساس من وراء التغلغل في دول حوض النيل إلى زيادة نفوذ (إسرائيل) السياسي في الدول المتحكمة في مياه النيل من منابعه، مع التركيز على إقامة مشروعات زراعية تعتمد على سحب المياه من بحيرة فيكتوريا.

وتعتمد (إسرائيل) لتحقيق ذلك على سياسة إثارة المشاكل والخلافات السياسية بين الأقطار العربية النيلية ونظيراتها الأفريقية، ومحاولة إقناع دول المنبع بوجود ظلم واقع عليها نتيجة الإسراف العربي في موارد المياه، ثم تقوم بتقديم الدعم الاقتصادي والدبلوماسي لتلك الدول.

كما استخدمت (إسرائيل) الجانب العسكري بهدف ترسيخ تواجدها في دول حوض النيل لا سيما التي تشهد اضطرابات وقلقل داخلية، إذ إنها تستغل الصراعات العرقية والقبلية في منطقة حوض النيل لدعم الحركات الانفصالية بالسلاح والمعدات العسكرية المختلفة؛ فإسرائيل دعمت الحركة الانفصالية في جنوب السودان منذ انطلاقها، ثم دربت كوادز الجبهة الشعبية لتحرير أريتريا عندما لاحت بوادر انتصارها، وعملت على إقامة علاقات حديثة مع قبائل «الكامبا» و«الكيروي» في تنزانيا.

باتفاقيات سابقة تمنحها حصصاً ثابتة من مياه النيل تصل إلى ٩٥٪ من الموارد المائية، داعين في الوقت نفسه إلى الحوار والتعاون مع دول المنبع السبع.

وجرى توقيع هذه الاتفاقية الجديدة، التي يتم التفاوض عليها منذ نحو عشر سنوات بين الدول التسع المشاطئة للنهر من أجل تقاسم أكثر عدالة لمياهه، في مدينة عنتيبي بأوغندا. ولم تشارك مصر والسودان، المستفيدان الرئيسيان من مياه النيل بموجب الاتفاقية الأخيرة لتقاسم المياه الموقعة في ١٩٥٩م رسمياً في مراسم التوقيع، ويؤكدان أن لهما «حقوقاً تاريخية» في النيل. وكان البلدان أعلنوا صراحة منذ أشهر معارضتهما لمشروع هذا الاتفاق الإطاري الجديد الذي لم تعلن تفاصيله كاملة. كذلك تغيب عن حفل التوقيع ممثلو بوروندي وجمهورية الكونغو الديمقراطية، ومن ثم لم يوقع البلدان بالأحرف الأولى على الاتفاقية الجديدة.

ولا يشير النص الجديد إلى أي أرقام، للحجم أو الأمتار المكعبة، للتقاسم المقبل للمياه، لكنه «يلغي» اتفاقي ١٩٢٩م و١٩٥٩م، ويسمح لدول الحوض باستخدام المياه التي تراها ضرورية مع الحرص على ألا تضر بالدول الأخرى. كما ينص الاتفاق على إنشاء مفوضية لحوض النيل تكلف بتلقي كل المشاريع المتعلقة بالنهر (من قنوات ري وسدود) وإقرارها. وسيكون مقر هذه المفوضية أديس أبابا، وستضم ممثلين للدول التسع المعنية.

ولا ننسى الدعم الأميركي للمبادرة حيث نشرت صحيفة الدستور المصرية بتاريخ

المعنية وفي مقدمتها مصر لتحقيق مكاسب سياسية.

وفي منتصف شهر نيسان/ أبريل ٢٠١٠م فشلت دول حوض النيل في اجتماعها بالقاهرة في التوصل لاتفاق على حصص كل منها في مياه النهر الذي يمر بعشر دول أفريقية، فكان الخلاف بين دول المنبع الثمانية من جهة ودولتي المصب مصر والسودان من جهة أخرى، حيث تمسكت دولتي المصب بحقوقهما التاريخية الموثقة في اتفاقيتي ١٩٢٩م و١٩٥٩م، وهي ٥٥.٥ مليار متر مكعب لمصر و١٨.٥ مليار متر مكعب للسودان.

وكردة فعل طالبت وسائل الإعلام الكينية، في تصعيد جديد من جانبها، أن تدفع مصر ثمن استخدام مياه النيل إلى كينيا ودول المنبع في حال إذا كانت ستواصل الاستفادة من مياه النيل.

ثم نشرت «الشرق الأوسط» بتاريخ ٢٠١٠/٥/١٥م بواسطة محمود البرعي في لندن: خبراً تقول فيه: إن أربع من دول حوض النيل وقّعت، هي إثيوبيا وأوغندا ورواندا وتنزانيا، أمس، اتفاقية إطارية مثيرة للجدل بشأن تقاسم مياه النيل، أكبر أنهار القارة الأفريقية، رغم غياب دولتين من دول الحوض هما بوروندي وجمهورية الكونغو الديمقراطية، ومقاطعة مصر والسودان المعارضتين بشدة لهذا الاتفاق. فيما أعلنت كينيا الدولة التاسعة دعمها الكامل للاتفاقية الجديدة، مؤكدة رغبتها في توقيعها «في أقرب وقت ممكن». وأعرب مسؤولون في الحكومة المصرية أمس عن رفضهم للاتفاقية، قائلين إن القاهرة متمسكة

والجدير بالذكر إن اتفاقية الأمم المتحدة الصادرة عام ١٩٩٧م والخاصة باستخدام مياه الأنهار في غير أغراض الملاحة لا تعترف بوجود اتفاقيات من طرف واحد. وقد بنيت هذه الاتفاقية على قاعدة «الاستخدام المنصف للمياه»، مشيراً إلى أن البنك الدولي يمتنع عن تمويل أي مشروعات في دول المنبع استناداً إلى هذه الاتفاقية. وهذا يجعل أي اتفاقية من غير رضى مصر والسودان فاقدة للشرعية الدولية. وعام ١٩٩٧م، قامت دول حوض النيل بإنشاء منتدى للحوار من أجل الوصول لأفضل آلية مشتركة للتعاون فيما بينهم. ثم اجتمعت لاحقاً عام ١٩٩٨م من أجل إنشاء الآلية المشتركة التي تم التوقيع عليها في فبراير (شباط) ١٩٩٩م في تنزانيا، وتم تفعيلها لاحقاً في مايو (أيار) من العام نفسه، وسميت رسمياً باسم «مبادرة حوض النيل». وتهدف إلى الوصول لتنمية مستدامة من خلال الاستغلال المتساوي للإمكانيات المشتركة التي يوفرها حوض نهر النيل، وتنمية المصادر المائية لنهر النيل لضمان الأمن والسلام لجميع شعوب دول حوض النيل.

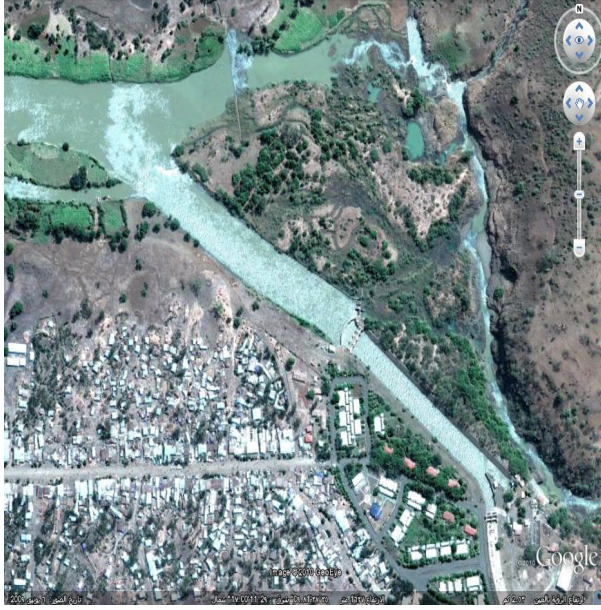
أعلنت إثيوبيا التي يأتي منها ٨٦٪ من مياه النيل في تاريخ ٢٠١٠/٥/١٥م أي في نفس اليوم الذي وقعت فيه الاتفاقية الإطارية، عن افتتاحها سدّاً جديداً على النهر، هو الثاني من نوعه خلال أقل من عام، ويعتقد مراقبون أن من شأن السدين أن يحدا من حصة مصر من مياه النيل على المدى الطويل. وقال مصدر في الحكومة المصرية أمس، إن القاهرة «تدعو دول حوض النيل للعودة إلى مائدة المفاوضات

الجمعة ٤ يونيو ٢٠١٠م أن مارجریت سكوبي سفيرة الولايات المتحدة بالقاهرة أكدت في ندوة عقدت بجامعة الزقازيق أهمية نهر النيل بالنسبة لمصر، مؤكدة دعم أميركا لمبادرة حوض النيل للوصول لحل يرضي جميع الأطراف التي تطل على النيل، مضيفة أنه من خلال دعم المجتمع الدولي سيتم التوصل إلى حل يرضي جميع دول حوض النيل.

وتاريخياً بدأت المفاوضات منذ عام ١٩٩٥م، لوضع اتفاقية إطارية للتعاون بين دول حوض النيل، وتمسكت مصر -ومعها السودان- بموقفيهما الخاصين بضرورة قيام دول المنبع بالإخطار المسبق للدولتين قبل تنفيذ مشروعات في أعالي النهر -بعد قيام دول بإنشاء سدود تمكنها من حجز المياه خلال السنوات الماضية- واستمرار العمل بالاتفاقيات القديمة التي تنظم موارد النهر بما يحافظ على حصة مصر التاريخية التي تصل إلى ٥٥ مليار متر مكعب من المياه، وأن يكون نظام التصويت في حالة إقرار إنشاء مفوضية لدول حوض النيل بالأغلبية المشروطة بمشاركة دولتي المصب «مصر والسودان».

ويقول محمود إبراهيم أبو العينين، أستاذ العلوم السياسية ووكيل معهد البحوث والدراسات الأفريقية بالقاهرة لـ«الشرق الأوسط» إن محاولات الوصول إلى صيغة مشتركة للتعاون بين دول حوض النيل، بدأت عام ١٩٩٣م من خلال إنشاء أجندة عمل مشتركة لهذه الدول. ثم عام ١٩٩٥م، طلب مجلس وزراء مياه دول حوض النيل من البنك الدولي الإسهام في الأنشطة المقترحة.

متراً، وحذر خبراء مياه مصريون من أن تدفع المشاريع الإثيوبية الدول الأخرى الواقعة على منابع النيل لبناء سدود دون العودة لمصر (دولة المصب) كما تنص الاتفاقيات المنظمة لحصص مياه النيل، التي ترفضها دول المنبع وتتمسك



سد بيليز على بحيرة تانا

بها كل من مصر والسودان. (المصدر صحيفة الشرق الأوسط ١٦ مايو ٢٠١٠م العدد ١١٤٩٢).

ومن كل الأحداث التي جرت يتضح لنا أن ملف مياه النيل هو ملف شائك، فالجميع يستخدمه لخدمة مصالحه. فأميركا تريد استخدامه كورقة للضغط على السودان ليقبل بالانفصال، وتستخدمه (إسرائيل) كورقة للضغط على مصر حتى تقبل بحل الدولة الواحدة التي ستكون عاصمتها القدس، وهذا إحراج لأميركا لتقبل حل الدولتين، كما أن (إسرائيل) ترى في ملفي مياه النيل ربحاً اقتصادياً ممتازاً كما عبر عن ذلك ليبرمان وزير الخارجية،

حول اتفاقية المياه»، وأن الرئيس المصري حسني مبارك يتابع الملف عن كثب، مؤكداً رغبة بلاده في التوصل لحلول ترضي جميع الأطراف، على أساس من التعاون لصالح شعوب حوض النيل، وذلك بعد يوم من توقيع

أربع، من سبع دول تقع على منابع النيل، اتفاقية من شأنها التأثير على حصصة مصر في مياه النيل مستقبلاً. حيث افتتح رئيس وزراء إثيوبيا ميليس زيناوي، سداً لتوليد الكهرباء على النيل بكلفة نحو ٥٠٠ مليون دولار. ونسبت صحيفة «نيشن» الكينية على موقعها على الإنترنت لزيناوي قوله: «إن الانتهاء من السد يتوج جهود إثيوبيا على مدار مئات السنين لاستغلال موارد نهر النيل». وتم افتتاح السد على مصدر من المصادر الرئيسية لمياه نهر النيل في تانابليز (أحد الأحواض الفرعية للنيل

الأزرق، وتعتبر مصدراً أساسياً لنهر النيل) على بعد نحو ٥٠٠ كيلومتر من العاصمة أديس أبابا غرب إثيوبيا، ويمكنه توليد طاقة كهربائية تقدر بـ ٤٦٠ ميغاوات، وقال زيناوي إن الحكومة الإثيوبية تعمل على تحقيق هدف توليد طاقة كهربائية تتراوح ما بين ٥ آلاف إلى ٨ آلاف ميغاوات. وقالت الصحيفة الكينية إن إثيوبيا بنت السد على نفقتها الخاصة بعد رفض المانحين تمويل المشروع.

يشار إلى أن إثيوبيا افتتحت أواخر العام الماضي أعلى سد في القارة الأفريقية على منابع النيل، وهو سد تيكييزي بارتفاع ١٨٨

هذه الأزمة تاريخياً ومن الذي افتعلها؟ ومن ثم دور الحكام في تأجيج هذا الصراع، وسنخرج بعدها إلى حقيقة واقع حياة أهل حوض النيل من حيث اعتمادهم عليه في الشرب والزراعة. وأخيراً نساهم بالمعالجة المبدئية المنبثقة من أعظم مبدأ وهو مبدأ الإسلام.

افتعال الاستعمار لأزمة مياه النيل عبر

الاتفاقيات:

الآثار

التي تركها
الاستعمار
تتمثل بذروة
أزمة مياه النيل
عبر سياسة
الاتفاقيات
التي تم عقدها
وهي: بروتوكول
روما ١٨٩١م،
اتفاقية أديس
أبابا ١٩٠٢م،
اتفاقية لندن
١٩٠٦م ،
اتفاقية مياه



سد تيكيزي - إثيوبيا

النيل ١٩٢٩م.

نبذة عن بروتوكول روما ١٨٩١م:

بروتوكول روما الموقع في ١٥/٤/١٨٩١م بين كل من بريطانيا وإيطاليا، باعتبار أن إيطاليا كانت وقتذاك تحتل إريتريا. ويتناول هذا البروتوكول تحديد مناطق نفوذ كل من الدولتين في منطقة شرق أفريقيا، حيث تعهدت إيطاليا في المادة الثالثة من هذا البروتوكول

وأمركا تدخلت لدعم المبادرة الإطارية التي تم توقيعها في ١٥ أيار/ مايو الماضي لتمسك بخيوط اللعبة وذلك مع تحفظها بدعم مصر، فهذه رسالة إلى (إسرائيل) بأن مسعاك لحل قضية فلسطين بالدولة الواحدة لن يرى النور فعليك أن تقبلي بحل الدولتين، كما أن الصراع بين أميركا و(إسرائيل) هذا يصب في مصلحة أميركا لأنه يبعد المنطقة من الانشغال

بقضاياها

المصرية في
الباب الأول
مثل قضايا
تمزيق مصر
والسودان،
كما يزيد من
سيطرتها
على المنطقة،
فالسفيرة
الأميركية
في القاهرة
أشارت إلى
زيادة التطبيع

بين مصر

وأمركا في الندوة التي ذكرنا عن طريق زيادة حجم التبادل التجاري والتعليمي التي تغسل به أدمغة الفئة الحاكمة بمفاهيم الغرب الكافر. كما أن (إسرائيل) تريد أن تخفف الرأي العام ضدها في قضية غزة وذلك بإشغال منطقة حوض النيل بالتوترات لتكون هذه القضية مادة للاستهلاك السياسي بعيدة عن أحداث فلسطين.

يدفعنا تطور هذه الأزمة إلى أن ندرس ميلاد

من مياه النيل، وإن لمصر الحق في الاعتراض (الفيتو) في حالة إنشاء هذه الدول مشروعات جديدة على النهر وروافده.

نص الاتفاقية:

تنظم تلك الاتفاقية العلاقة المائية بين مصر ودول الهضبة الاستوائية، كما تضمنت بنوداً تخص العلاقة المائية بين مصر والسودان وردت على النحو التالي في الخطاب المرسل من رئيس الوزراء المصري والمندوب السامي البريطاني: إن الحكومة المصرية شديدة الاهتمام بتعمير السودان وتوافق على زيادة الكميات التي يستخدمها السودان من مياه النيل دون الإضرار بحقوق مصر الطبيعية والتاريخية في تلك المياه.

توافق الحكومة المصرية على ما جاء بتقرير لجنة مياه النيل عام ١٩٢٥م وتعتبره جزءاً لا ينفصل من هذا الاتفاق.

أن لا تقام، بغير اتفاق سابق مع الحكومة المصرية، أعمال ري أو توليد قوى أو أي إجراءات على النيل وفروعه أو على البحيرات التي تتبع سواء من السودان أو البلاد الواقعة تحت الإدارة البريطانية من شأنها إنقاص مقدار المياه الذي يصل لمصر، أو تعديل تاريخ وصوله أو تخفيض منسوبه على أي وجه يلحق ضرراً بمصالح مصر.

تقدم جميع التسهيلات للحكومة المصرية لعمل الدراسات والبحوث المائية لنهر النيل في السودان، ويمكنها إقامة أعمال هناك لزيادة مياه النيل لمصلحة مصر بالاتفاق مع السلطات المحلية.

فالآثار التي ظهرت جراء هذه الاتفاقيات

بعدم إقامة أية منشآت لأغراض الري على نهر عطبرة يمكن أن تؤثر على موارد النيل.

اتفاقية أديس أبابا ١٩٠٢م:

اتفاقية أديس أبابا بين بريطانيا وإثيوبيا، الموقعة في ١٥/٥/١٩٠٢م، ووقعتها بريطانيا بالنيابة عن السودان، وأهم ما فيها المادة الثالثة التي تنص على: «إن الإمبراطور الإثيوبي منليك الثاني يعد بأن لا يبني أو يسمح ببناء أي أعمال على النيل الأزرق وبحيرة تانا أو السوابط»، إلا أن البعض يذهب إلى أن هذه الاتفاقية ليست لها قوة إلزامية بالنسبة لإثيوبيا لأنه لم يتم قط التصديق عليها من جانب ما كان يسمى مجلس العرش الإثيوبي، والبرلمان البريطاني. كما يذهب البعض إلى أن الوضع اختلف كثيراً بشكل يجعل من الصعب الالتزام بالمادة المذكورة.

اتفاقية لندن ١٩٠٦م:

اتفاقية لندن الموقعة في ١٣ ديسمبر ١٩٠٦م، وجرى التوقيع عليها بين كل من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا. وينص البند الرابع منها على أن تعمل هذه الدول معاً على تأمين دخول مياه النيل الأزرق والأبيض وروافدهما، وتتعهد بعدم إجراء أية إشغالات عليهما من شأنها أن تنقص من كمية المياه المتجهة نحو النيل الرئيسي.

اتفاقية نهر النيل ١٩٢٩م:

هي اتفاقية أبرمتها الحكومة البريطانية -بصفتها الاستعمارية- نيابة عن عدد من دول حوض النيل (أوغندا وتنزانيا و كينيا)، في عام ١٩٢٩م مع الحكومة المصرية يتضمن إقرار دول الحوض بحصة مصر المكتسبة

أميركا بالفوضى الخلاقة للسيطرة على الشعوب.

والدور الموكل للحكام هو افتعالهم لأزمة مياه النيل، فحكام دولتي المصب مصر والسودان عليهما أن يمثلتا دور المستعمر، وذلك بالالتزام بالاتفاقية التي أبرمها الاستعمار الإنجليزي والإيطالي، وأما بالنسبة لحكام دول المنبع فعليهم أن يمثلوا دول المظلوم الذي يشعر بالغضب تجاه دولتي المصب اللتين حرمتاهم من الاستفادة من مياه النيل. وإليكم الأدوار التي مثلها الحكام وهي:

اتفاقية ١٩٥٩م:

وقعت هذه الاتفاقية بالقاهرة في نوفمبر ١٩٥٩م بين مصر و السودان، وجاءت مكملية لاتفاقية عام ١٩٢٩م وليست لافية لها، حيث تشمل الضبط الكامل لمياه النيل الواصلة لكل من مصر والسودان في ظل المتغيرات الجديدة التي ظهرت على الساحة آنذاك وهو الرغبة في إنشاء السد العالي ومشروعات أعالي النيل لزيادة إيراد النهر وإقامة عدد من الخزانات في أسوان.

بنود الاتفاقية:

تضم اتفاقية الانتفاع الكامل بمياه النيل على عدد من البنود من أهمها:

احتفاظ مصر بحقوقها المكتسبة من مياه النيل وقدره ٤٨ مليار متر مكعب سنوياً وكذلك حق السودان المقدر بأربعة مليار متر مكعب سنوياً.

موافقة الدولتين على قيام مصر بإنشاء السد العالي وقيام السودان بإنشاء خزان الروصيرص على النيل الأزرق وما يستتبعه من

أن ظلم أهل مصر والسودان في حصصهم المائية، وأصبحت عندهم مشكلة مائية بعدما كانوا لا يعانون منها إطلاقاً، ثم أوجدوا الحقد والبغضاء وأسباب التوتر بين شعوب بلدان حوض النيل، فأصبحت دول المنبع ترى أن مصر والسودان تتعامل معهما باستعلاء وهذا ما يثير حفيظتهم ويؤجج الصراع. فأصبحت هذه الأسباب فتيلاً يمكن إشعاله في أي وقت يشاؤون حتى يحققوا أهدافهم، ومنها إجبار مصر والسودان على تقديم دعومات للتنمية التحتية وغيرها لدول منابع النيل، وتأتي الدعومات من مواطني مصر والسودان من خلال الضرائب التي تغذي ميزانية الدولتين لأن الحكام يأكلون عائدات البترول وغيرها فلا يبقى منها شيء فيضطر الحكام إلى زيادة الضرائب لدعم المشاريع التنموية في دول المنبع، كما أن هذه السياسة تضمن إفقار أهل مصر والسودان حتى لا ينهض أهل البلاد ويكون لهم شأن عظيم بأن يزيلوا هذه الحكومات.

دور حكام دول حوض النيل في تركيز آثار

الاستعمار وتعميقها:

إن لحكام دول حوض النيل دور الأداة التي ينفذ بها الشغل، وعملياً قاموا بدورهم الموكل لهم من قبل أميركا وريثة المشروع الاستعماري خير قيام بهدف السيطرة على هذه الشعوب وضمان انشغالها بالفقر واللامه وإضعافها أكثر وأكثر، وحتى لا يستطيع أهل حوض النيل، وغالبيتهم من المسلمين، من أن يقيموا دولة الخلافة الدولة المبدئية التي تضمن لهم الحياة الكريمة، قام الحكام بتحويل الأوضاع إلى فوضى وهي التي تسميها

أعمال تلزم السودان لاستغلال حصته. اجتماعية واقتصادية كبيرة وتعزيز السلام والأمن الإقليميين.

اتفاقية مبادرة حوض النيل: لم تتل الاتفاقية بعد موافقة كل دول حوض النيل. وفشلت محادثات عقدت في كينشاسا بجمهورية الكونغو الديمقراطية في أيار/ مايو ٢٠٠٩م بخصوص هذه الاتفاقية الإطارية الجديدة التي تحدد استخدام مياه النيل بعد أن رفضت مصر التوقيع عليها. وقالت مصر إنها لن توافق على أي اتفاقية إطارية جديدة تسلبها حقها في الحصول على ٥٥.٥ مليار متر مكعب من المياه سنوياً وحق الاعتراض على أي مشروعات من شأنها أن تهدد حصتها.

قيام السودان بالاتفاق مع مصر على إنشاء مشروعات زيادة إيراد النهر بهدف استغلال المياه الضائعة في بحر الجبل و بحر الزراف و بحر الغزال وفروعه و نهر السوبات وفروعه وحوض النيل الأبيض ، على أن يتم توزيع الفائدة المائية والتكلفة المالية الخاصة بتلك المشروعات مناصفة بين الدولتين.

إنشاء هيئة فنية دائمة مشتركة لمياه النيل بين مصر والسودان. كما أن معظم حكام دول حوض النيل بعد الاستعمار قد اعترفت بكل الاتفاقيات من

بروتوكول روما وحتى اتفاقية عام ١٩٢٩م.

اتفاقية القاهرة للتعاون في يوليو/ تموز

١٩٩٣م:

أبرم الاتفاق بين مصر وإثيوبيا التي ينبع منها ٨٥٪ من مياه النيل. وتعهد كل من البلدين بعدم تنفيذ مشروعات مائية تضر مصالح البلد الآخر وبالتشاور بخصوص تقليل الفاقد وزيادة تدفق المياه.

مبادرة حوض النيل عام ١٩٩٩م:

تضم المبادرة دول حوض النيل من أجل تطوير النهر بصورة تعاونية وتقاسم فوائد

المتحدة ودولها.

حياة سكان حوض النيل واعتمادهم عليه

في الزراعة والشرب:

إن دول حوض النيل هي: أوغندا، إثيوبيا، إريتريا، السودان، الكونغو، بوروندي، تنزانيا، رواندا، كينيا، مصر.

تضاريس دول حوض النيل:

يقع حوض النيل بنسبة (٦٤,٦٪) من مساحته في السودان، و(١٠٪) في مصر و(١١,٧٪) في إثيوبيا وبقية الدول تقل عن مصر كثيراً فيما جميع دول حوض النيل عدا مصر والسودان تملك حاجتها من المياه وزيادة لكثرة البحيرات العذبة والأنهار، ونسبة لهطول الأمطار المتواصلة، بينما يعتمد السودان على (٧٧٪) ومصر (٩٧٪) على مياه النيل، ويغذي نهر النيل ٣٠٠ مليون نسمة، وهم سكان دول حوض النيل العشرة. يعتبر نهر النيل من أطول الأنهار في العالم حيث يبلغ طوله ٦٦٥٠ كلم، وهو يجري من الجنوب إلى الشمال نحو مصبه في البحر الأبيض المتوسط، وذلك في الجزء الشمالي الشرقي من قارة أفريقيا. ينبع النيل من بحيرة فيكتوريا التي تبلغ مساحتها ٦٨ ألف كلم^٢.

يعتبر نهر كاجيرا (Kagera) من الجداول الرئيسية لنهر النيل، ومن أكبر الروافد التي تصب في بحيرة فيكتوريا، وينبع من بوروندي قرب الرأس الشمالي لبحيرة تتجانيقا الواقعة إلى الجنوب من بحيرة فيكتوريا في وسط أفريقيا، ويجري في اتجاه الشمال ممثلاً الحدود بين تنزانيا ورواندا، وبعدما يتجه إلى الشرق يصبح الحد الفاصل بين تنزانيا

بعينها التي تعتبر الذراع الأساسي للرأسمالية الغربية في السيطرة على الأمم والشعوب، ومن ثم يكون هؤلاء الحكام هم الحراس الذين يقومون بحماية المشاريع الغربية في المنطقة، وهم الذين يوقعون صك تنفيذ هذه المشروعات الاقتصادية (التنموية) الاستعمارية في منطقة حوض النيل.

فلقد كتبنا معلومات في هذا الموضوع تبين دور الحكام والتدخلات الغربية و(الإسرائيلية) والأميركية وغيرها عبر مشكلة مياه النيل.

فالسؤال الذي وصلنا إليه هو: تيار نهر النيل في القرن الحادي والعشرين إلى أين؟

الإجابة: إلى إدخال وتثبيت أقدام العولة في المنطقة لتكون ذراعاً قوية للسيطرة على هذه الشعوب، لأن العولة عندما تدخل أي بلد تسعى في البدء إلى شراء الذمم التي تحميها على حساب حياة أهل البلد التي ستتحول إلى ضنك وفقر وحروب.

وستكون دولة الجنوب هي الكيان الصهيوني في المنطقة الذي سينفذ السياسات المائية الظالمة التي سيقومون بها؛ فيمتصون مياه نهر النيل في مشاريع زراعية تقلل كثيراً من حصة مياه السودان ومصر لدرجة الجفاف والعطش؛ فعندها سيتحول النهر إلى نهر من الدماء.

فالحكام هم الذين ينفذون أسباب المشكلة وذلك بإيجاد المشاريع التنموية الزراعية بالتعاون مع دول مانحة كـ(إسرائيل) وغيرها حتى توجد أسباب الشقاق والصراع، ثم إذا رجعوا إلى جهة لتحكم وتفصل بينهم يرجعون للذي أوجد المشكلة فيرجعون إلى موثيق الأمم



وأوغندا ومنها إلى بحيرة فيكتوريا بعدما يكون قد قطع مسافة ٦٩٠ كلم.

أما نهر روفيرونزا (Rovironza) الذي يعتبر الرافد العلوي لنهر كاجيرا وينبع أيضاً من بوروندي، فيلتحم معه في تنزانيا، ويعتبر الحد الأقصى في الجنوب لنهر النيل.

حوض النيل ويبلغ معدل كمية تدفق المياه داخل بحيرة فيكتوريا أكثر من ٢٠ مليار متر مكعب في السنة، منها ٧,٥ مليارات من نهر كاجيرا و٨,٤ مليارات من منحدرات الغابات الواقعة شمال شرق كينيا و٢,٢ مليارات من شمال شرق تنزانيا، و١,٢ مليار من المستنقعات الواقعة شمال غرب أوغندا، كما ورد

في تقارير منظمة

الفاو لعام ١٩٨٢م. يعرف النيل بعد مغادرته

بحيرة فيكتوريا باسم نيل فيكتوريا، ويستمر في مساره لمسافة ٥٠٠ كلم مروراً

٣٠٠ كلم شمال الخرطوم، وحاله كحال النيل الأزرق، وقد يجف في الصيف. ثم يتابع نهر النيل جريانه في الأراضي المصرية حتى مصبه في البحر الأبيض المتوسط.

أرض الحبشة (إثيوبيا وأريتريا): تتمتع بتضاريس جبلية وأمطار غزيرة طول العام، مما يعني أن سكانها يعيشون على الزراعة المطرية بشكل كلي من حيث الغذاء، وأما من حيث الشرب فيعتمدون على تجمع هذه المياه في الوديان أو المناطق المنخفضة التي تتجمع فيها مياه الأمطار، ونعلم أن من مميزات الزراعة المطرية لا تشمل تكاليف الري، فالري مطري، فالمشروع الزراعي عندهم لا يكلف إلا في الحرث والتقاوي والبذور، وأما في شق القنوات فهذا لا يحتاجونه ولهذا يتشجع السكان على الزراعة المطرية مع العلم أن سكان هذه البلاد من الفقراء فلا يستطيعون توفير تكاليف الزراعة المروية بطبيعة الحال، فضلاً عن فوائد الزراعة المطرية التي لا تحصى ولا تعد كما يذكر أهل الاختصاص الزراعي.

أوغندا وتنزانيا وبوروندي ورواندا وكينيا والكونغو: كل هذه الدول تقع في منطقة خط الاستواء، وبعضها مثل رواندا وبوروندي إلى الجنوب قليلاً من خط الاستواء وهي السافانا الغنية وتتمتع هذه البلدان بسلسلة من الجبال، فالأرض أرض جبلية ولذلك نجد أنها باردة، فدرجة الحرارة في كل العام لا تتجاوز ٢٣ درجة مئوية، بل أحياناً تصل البرودة إلى حد نزول الثلج بكثافة لدرجة تصعب فيها ممارسة أي نشاط بشري. وأما الميزة الأولى لهذه البلدان

ببحيرة إبراهيم (Kyoga) حتى يصل إلى بحيرة ألبرت التي تتغذى كذلك من نهر سمليك (Semliki) القادم أصلاً من جبال جمهورية الكونغو الديمقراطية مروراً ببحيرة إدوارد، وبعدها يدعى "نيل ألبرت". وعندما يصل جنوب السودان يدعى بحر الجبل، وبعد ذلك يجري في منطقة بحيرات وقنوات ومستنقعات يبلغ طولها من الجنوب إلى الشمال ٤٠٠ كلم ومساحتها الحالية ١٦,٢ ألف كلم^٢، إلا أن نصف كمية المياه التي تدخلها تختفي من جراء النتح والتبخر. وقد بدأ تجفيف هذه المستنقعات عام ١٩٧٨م بإنشاء قناة طولها ٣٦٠ كلم لتحديد المياه من عبورها، وبعدها تم إنشاء ٢٤٠ كلم منها توقفت الأعمال عام ١٩٨٣م بسبب الحرب الأهلية في جنوب السودان. وبعد اتصاله ببحر الغزال يجري النيل لمسافة ٧٢٠ كلم حتى يصل الخرطوم، وفي هذه الأثناء يدعى "النيل الأبيض"، حيث يلتحم هناك مع "النيل الأزرق" الذي ينبع مع روافده الرئيسية (الندندر والرهده) من جبال إثيوبيا حول بحيرة تانا الواقعة شرق القارة على بعد ١٤٠٠ كلم عن الخرطوم. ومن الجدير بالذكر أن النيل الأزرق يشكل ٨٠٪ من مياه النيل الإجمالية، ولا يحصل هذا إلا أثناء مواسم الصيف بسبب الأمطار الموسمية على مرتفعات إثيوبيا، بينما لا يشكل في باقي أيام العام إلا نسبة قليلة، حيث تكون المياه قليلة. أما آخر ما تبقى من روافد نهر النيل بعد اتحاد النيلين الأبيض والأزرق ليشكلا نهر النيل، فهو نهر عطبرة الذي يبلغ طوله ٨٠٠ كلم وينبع أيضاً من الهضبة الإثيوبية شمالي بحيرة تانا. ويلتقي عطبرة مع النيل على بعد

الأمطار وجودة التربة لأنها تربة طينية. فالخلاصة هي أن بلدان منابع حوض النيل، لا تعتمد على البحيرات التي هي منبع نهر النيل ولا حتى روافده في سقاية الزرع بل تعتمد على الري المطري المباشر للمنطقة المزروعة أو الري الانسيابي، ونعني به أن المياه التي تنزل من الجبال تتساب من القمة إلى سفح الجبل حيث الزراعة، وأما في الشرب فيشربون من الخيران والبحيرات والأنهار الصغيرة التي تعتبر الروافد المغذية لنهر النيل أو المياه الجوفية. وأما إذا أرادوا أن يعتمدوا في الزراعة على الري بالطلميات فهو من الصعوبة بمكان؛ ذلك لأن رفع المياه من البحيرات إلى سفوح الجبال هذا أمر شاق للطبيعة الجبلية ووعورة الطرقات، ومكلف مالياً لأنهم سيحتاجون إلى خطوط أنابيب بمواصفات عالية حتى تضمن لهم ري مستمر، ويحتاجون أيضاً إلى طلبات كبيرة، ومن المعلوم أن هذه البلدان تعتبر من أفقر دول العالم، فلا يوجد لديها مخزون مالي حتى تتفقه على الري بالطلميات. ومن ناحية أخرى فهذه البلدان لا تحتاج إلى سدود حتى تجمع المياه للاستفادة منها لأغراض الزراعة، لأنها متجمعة بصورة طبيعية في الوديان والبحيرات كأمثال: بحيرة فكتوريا وألبرت وإبراهيم وغيرها من البحيرات والوديان، ونؤكد على أن سقاية الزراعة عندهم إما أن تكون بالري المطري المباشر من السماء ويكون ذلك في الأراضي التي تقع في الوديان والسهول المسطحة، وإما أن تكون سقاية الزرع بالري الانسيابي الطبيعي وذلك عندما تكون المنطقة المزروعة في سفوح الجبال ومنحدراته. وأنبه

وهي توضعها في منطقة السافانا الغنية هذا يعني أن هذه المناطق تتمتع بغزارة هطول الأمطار طوال العام مما يعني أن سكانها يعتمدون في ريههم لزراعتهم على الأمطار بشكل كلي، فحالهم كحال أهل إثيوبيا وأريتريا (هضبة الحبشة) فمعظم السكان فقراء وبالتالي ليسدوا حاجاتهم المحلية يتجهون نحو الزراعة المطرية قليلة التكاليف جداً والمربحة في نفس الوقت. ولكن إذا تدهورت الزراعة في هذه الدول لا يكون السبب هو شح الأمطار، فالأمطار غزيرة جداً طوال العام، ولكن السبب يكمن في نشوب الحروب الأهلية الطاحنة طويلة الأمد، كما كان يحصل في الكونغو وأوغندا وبورندي ورواندا وكينيا وإثيوبيا وإريتريا. وأما الميزة الثانية وهي طبيعة الأرض في هذه البلدان فطبيعتها جبلية، مما يجعل مياه الأمطار تتساب من قمم الجبال إلى سفوح الجبال عبر مجاري تتكون شيئاً فشيئاً من قمة الجبل إلى سفحه، وتتجمع هذه المياه إما في الوديان أو تصب في جداول أو خيران، فإنسان تلك المنطقة إذا أراد أن يشرب أو أن يسقي حيواناته فإنه يتجه إلى المياه المتجمعة في الوديان أو الأنهار الصغيرة أو الخيران، وإذا أراد أن يزرع فإنه في الغالب يزرع في سفوح الجبال أو المنحدرات الجبلية أو الوديان، فعليه فقط أن يحرق الأرض ويغرس البذرة، ثم تأتي المياه من السماء فتسقي زرعه، كما أن الأرض طينية تحتفظ بالمياه لفترة من الزمن وهي فترة كافية لإنبات البذور، فمنطقة السافانا الغنية تتمتع بكثافة الأشجار والخضرة تجدها في كل مكان في السافانا الغنية، وذلك لغزارة

تخزينها في أحواض ترسيب حتى تتم تنقيتها، ثم إنها لا يعتمدون عليها إلا في الشرب، بل وأنها أصبحت من المظاهر الاجتماعية حيث إن الليبي لا يسقي أي إنسان من مياه الأمطار إلا إذا كان عزيزاً عليه فيكرمه بماء الأمطار العذبة. إذاً كيف تعمل دول المنبع على تبديل هذه النعمة إلى نقمة عن طريق إنشاء سدود ستزيد عليهم تكاليف الزراعة مما يعني أنهم سيعيشون في جوع مستمر بدل أن يجوعوا عاماً أو عامين لأن أسعار المحاصيل سترتفع ارتفاعاً باهظاً هذا من الناحية الاقتصادية، وأما من الناحية الزراعية فإن إنشاء سدود يعني إغراق كثير من الأراضي الصالحة للزراعة التي تقع في الوديان والسهول التي ستتشأ فيها السدود التي لن تستطيع بدورها أن تحتفظ بالمياه لأن الأمطار غزيرة، فإن احتفظت بالمياه ستغرق الأراضي الزراعية والسكنية في آن واحد كما حصل في منطقة مروي حيث غرقت المنطقة السكنية والزراعية، وهذا يؤدي إلى إنقاص الرقعة المزروعة من الأراضي ما يعني تدني الإنتاج الزراعي ما يعني الجوع المميت لإنسان تلك البلدان الذي سيعتمد في غذائه فيما بعد على الوارد من المحاصيل التي كان إنتاجه المحلي منها يكفيه طوال العام، ولكن هذه البلدان لأنها فقيرة فلن تستطيع أن تستورد المحاصيل الأساسية في غذاء السكان، وسيحصل عندها فجوة مالية كبيرة لن تستطيع أن تسدها، فسوف تعتمد هذه البلدان في نهاية الأمر على الغذاء المقدم من منظمات العون الإنساني والإغاثة، فالمنظمات لن تستطيع في ذلك الوقت أن تؤمن

إلى أن الري الانسيابي قد يحتاج إلى قليل من الاهتمام، وذلك في شق بعض الترع والقنوات حتى يسهل عملية انسياب المياه بشكل منظم إلى الأراضي المزروعة، وتكون كمية المياه النازلة حسب كمية المطر، فإذا كانت الكمية غير كافية فلا بأس، غداً ستتهطل الأمطار لأن الأمطار لديهم تهطل بصورة تكاد تكون مستمرة، فلن يصاب الزرع بالعطش إطلاقاً لأن الأمطار غزيرة وممتدة على طول العام. فمسألة الري المطري والري الانسيابي هو نعمة من الله على أهل تلك البلدان إذ وفر عليهم عناء الري الانسيابي الصناعي أو حتى الري بالطملمبات، كما وفر لهم تربة خصبة طينية تحتفظ بالمياه لحين إنبات الزرع، فسبحان الله أحسن الخالقين. فأهل تلك البلدان التي تسمى ببلدان منبع نهر النيل يعيشون في جنان الله في الأرض، فجميع دول المنبع بالتحديد غالب سكانها يحترفون الزراعة (بالري المطري) بل وتعتبر الزراعة (بالري المطري) هي الدخل الرئيس لاقتصاديات هذه البلدان (كينيا، أوغندا، إثيوبيا، تنزانيا، رواندا، بوروندي والكونغو الديمقراطية) هذا بالرغم من ممارستهم للزراعة التقليدية التي يكون إنتاجها ضعيفاً مقابل الزراعة المحكومة بالدراسات الحديثة، كما أنه من المتوقع حسب الظروف التي تفرضها هذه الحكومات على سكانها فإنهم لا يستفيدون من كل مياه الأمطار من حيث تخزينها وتوزيعها سواءً للشرب أو الزراعة، ففي ليبيا على سبيل المثال هناك استفادة ممتازة لمياه الأمطار حيث يقوم السكان بتجميعها عبر أسقف المنازل ثم

المائية.

ومن حيث الشرب فيكمين في جميع مياه الأمطار العذبة وتنقيتها للشرب وذلك في بلدان دول المنبع، لأن المولى عز وجل يقول: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾، ومن حيث الزراعة يتم تطوير الزراعة المطرية في دول المنبع، مع السماح بالاستفادة القليلة من مياه روافد النيل بحيث لا يتضرر أهل بلدان المصب (مصر والسودان) فالنبي ﷺ قال: «خذ ما يكفيك وأرسل لجارك». وأما بلدان المصب (مصر والسودان) فهما يعتمدان اعتماداً شبه كلي على النيل وروافده في الشرب والزراعة، ونوصي بتطوير الزراعة في هذين البلدين والاستفادة من كل الدراسات الحديثة التي تزيد في الإنتاج وتوفر المياه، كما نوصي بإنشاء علمي حديث لشبكات إمدادات مياه الشرب في كل البلدان، حتى نضمن إشباع حاجة كل إنسان من هذه المياه.

والحل كل الحل في إقامة دولة مبدئية تتفد أحكام الإسلام التي ذكرناها بحيث تدير المياه بصورة تضمن إشباع هذه الحاجة لكل إنسان من حيث الشرب والزراعة. ولا يكون ذلك إلا بإزالة أسباب الصراع الحالي على رأسها حكومات دول حوض النيل التي تتعاون مع الغرب الكافر، ثم إزالة كيان يهود من الوجود والولايات المتحدة من المنطقة، ومعها دول الاستعمار السابقة.

وأما الحل الآتي فعلى الحزب المبدئي أن يستخدم هذا الملف في كشف بشاعة عمالة هؤلاء الحكام لأسيادهم حتى لو كان الثمن عندهم هو قتل كل الناس بالعطش والجوع □

الغذاء لكل إنسان في تلك المناطق، بل مسلسل الجوع المميت لن ينتهي، ولهذا سيكون الحل إما ثورات لتغيير الأنظمة في تلك البلدان وإيجاد أنظمة حكم تعيد الأمور إلى طبيعتها التي جبلها الله عليها أو الهجرة، ولكن إلى أين؟ فإذا كانت الإجابة هي البلدان المجاورة فسيواجه المهاجرون الحروب الأهلية مع أهل البلدان التي هاجروا إليها لأنهم سيعتبرونهم محتلين لأراضيهم ومشاركين لهم في خيراتها ومنها الزراعة، أو سيواجهون الذل والصغار الذي سيجعلهم عبيداً مسخرين لخدمة أهل تلك البلدان مقابل فتات من العيش وهذا لن يدوم، فمصير المهاجرين إما أن يحاربوا من أجل الدفاع عن أنفسهم، أو أن يحاربوا من أجل البقاء، إذاً الخلاصة هي إما الجوع المميت أو الحروب الأهلية المميتة، فهما خياران مجبور إنسان تلك البلدان طالما هو تحت سيطرة عملاء الغرب أن يختار أحدهما، أو يكون الحل هو البحث عن فكرة مبدئية تخرج الناس من هذا الدرك المميت.

معالجة الإسلام لأزمة مياه النيل:

إن دول المنبع تعتمد في توليد الكهرباء على إنشاء سدود، وهذا لا بأس به لأن هذا الاستخدام لا يحجز المياه ولا يبدها، فيمكن إنشاء عدة سدود لتزود جميع هذه الدول بالطاقة الكهربائية بدلاً من إنشاء عدد ضخم من السدود كما هو حاصل الآن، وذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «الناس شركاء في ثلاث: الماء والكلأ والنار» فطالما أن الناس شركاء في النار فيمكن أن تشترك كل هذه البلدان في الإنتاج الكهربائي من السدود

الأزمة المالية العالمية وأثرها على البلدان العربية

الأزمة الاقتصادية.. الأسباب والبدائل

تصاحب كل الأنظمة الوليدة أحداث تنبئية عن مستقبلها وتوقعات الخبراء والمهتمين بها لاستشراف المستقبل، وعلماء الاقتصاد الوضعي قد تنبؤوا من قبل بانهايار النظام الاقتصادي الاشتراكي؛ لأنه يقوم على مفاهيم ومبادئ تتعارض مع فطرة الإنسان وسجيته ومع أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية.

كما تنبأ العديد من رواد النظام الاقتصادي الرأسمالي بانهاياره؛ لأنه يقوم على مفاهيم ومبادئ تتعارض مع سنن الله ومع القيم والأخلاق، كما أنه يقوم على الاحتكار والفوائد الربوية (نظام فوائد القروض والائتمان) التي يرونها شرّاً على وجه الأرض، حيث تقود إلى عبادة المال وسيطرة أصحاب القروض (المقرضون) على المقرضين، وتسلب حرياتهم وأعمالهم وديارهم وتسبب آثاراً اجتماعية واقتصادية خطيرة.

مظاهر الأزمة

ولقد بدأت إرهابات ومعالج انهيار النظام المالي العالمي في الظهور وأصاب أصحاب الأموال وغيرهم بالهلع والذعر والرعب، كما ارتبكت المؤسسات المالية والوسطاء معها في التفكير في وضع الخطط للإنقاذ، كما أحدثت للحكومات خوفاً على أنظمتها وديمومتها.

وكان من مظاهر هذه الأزمة على سبيل

المثال ما يلي:

- الهرولة في سحب الإيداعات من البنوك؛ لأن "رأس المال جبان"، وهذا ما تناولته وكالات الإعلام المختلفة.

- قيام العديد من المؤسسات المالية بتجميد منح القروض للشركات والأفراد خوفاً من صعوبة استردادها.

- نقص السيولة المتداولة لدى الأفراد والشركات والمؤسسات المالية، وهذا أدى إلى انكماش حاد في النشاط الاقتصادي وفي جميع نواحي الحياة؛ ما أدى إلى توقف المقرضين عن سداد دينهم.

- ازدياد معدل البطالة بسبب التوقف والإفلاس والتصفية، وأصبح كل موظف وعامل مهدداً بالفصل.

- ازدياد معدل الطلب على الإعانات الاجتماعية من الحكومات.

- انخفاض معدلات الاستهلاك والإنفاق والادخار والاستثمار، وهذا أدى إلى مزيد من: الكساد، والبطالة، والتعثر، والتوقف، والتصفية، والإفلاس.

لماذا هي أزمة مالية وليست اقتصادية؟

فهي أزمة في القطاع المالي ولكنها تهدد بإغراق الاقتصاد بأكمله. فكيف؟ ولماذا؟ بداية يجب أن نفهم أن هناك تفرقة أساسية بين ما يمكن أن نطلق عليه "الاقتصاد العيني أو الحقيقي" وبين "الاقتصاد المالي".

ولكنك إذا أردت أن تتصرف في هذه الأرض فإنك لا تحمل الأرض على رأسك لكي تباعها أو تؤجرها للغير، فكان لابد للبشرية أن تكتشف مفهوماً جديداً اسمه "حق الملكية" على هذه الأرض، وهكذا بدأ ظهور مفهوم جديد اسمه الأصول المالية "Financial Assets"، باعتبارها حقاً على الثروة العينية. وأصبح التعامل يتم على "الأصول المالية" باعتبارها ممثلاً للأصول العينية عن طريق "سندات الملكية" كافياً لكي تنتقل ملكية الأصول العينية (الأرض) من مالك قديم إلى مالك جديد.

ولم يتوقف الأمر على ظهور أصول مالية بسندات الملكية، بل اكتشفت البشرية أن التبادل عن طريق "المقايضة" ومبادلة سلعة عينية بسلعة عينية أخرى أمر معقد ومكلف، ومن ثم ظهرت فكرة "النقود" التي هي أصل مالي، أي أن النقود أصبحت تعطي صاحبها الحق في الحصول على ما يشاء من الاقتصاد، أي من السلع والخدمات المعروضة. والنقود في ذاتها ليست سلعة وإنما وسيلة اقتصادية لرفاهية المجتمع.

ولم يتوقف على ذلك بل اكتشفت البشرية أن الكفاءة الاقتصادية تزداد كلما اتسع حجم المبادلات ولم يعد مقصوراً على عدد محدود من الأفراد أو القطاعات، فالحاقلية للتداول ترفع القيمة الاقتصادية للموارد، ومن هنا ظهرت أهمية أن تكون هذه الأصول قابلة للتداول.

و ساعد وجود هذه الأصول المالية المتنوعة على انتشار وتوسع الشركات وتداول ملكيتها وقدرتها على الاستدامة.

فمن ناحية أخرى ظهرت البورصات التي

فأما الاقتصاد العيني "Real Assets" وهو ما يتعلق بالأصول العينية، فهو يتناول كل الموارد الحقيقية التي تشبع الحاجات بطريق مباشر "السلع الاستهلاكية" أو بطريق غير مباشر "السلع الاستثمارية".

فالأصول العينية هي الأراضي والمصانع، والطرق، ومحطات الكهرباء، والقوى البشرية وغيرها.

وبعبارة أخرى هي مجموع السلع الاستهلاكية التي تشبع حاجات الإنسان مباشرة من مأكّل وملبس وترفيه ومواصلات وتعليم وخدمات صحية.

ولكنها أيضاً تتضمن الأصول التي تنتج هذه السلع "الاستثمارية" من مصانع وأراض زراعية ومراكز للبحوث والتطوير.. وغيرها. وهكذا فالالاقتصاد العيني أو الأصول العينية هو الثروة الحقيقية التي يتوقف عليها بقاء البشرية وتقدمها.

وإذا كان الاقتصاد العيني هو الأساس في حياة البشر وسبيل تقدمهم، فقد اكتشفت البشرية منذ وقت مبكر أن هذا الاقتصاد العيني وحده لا يكفي، بل لابد أن يزود بأدوات مالية تسهل عمليات التبادل من ناحية، والعمل المشترك من أجل المستقبل من ناحية أخرى. ومن هنا ظهرت الحاجة إلى "أدوات" أو "وسائل" تسهل التعامل في الثروة العينية. ولعل أولى صور هذه الأدوات المالية هي ظهور فكرة الحقوق على الثروة العينية.

فالأرض الزراعية هي جزء من الثروة العينية، وهي التي تنتج المحاصيل الزراعية التي تشبع حاجة الإنسان من المأكّل وربما المسكن وأحياناً الملبس.

تراجع المؤشرات على الرغم من ضخ نحو ١٢١,٦ مليار دولار لطمأنة المستثمرين ووقف نزيف التراجع، حيث إنه خلال يوم واحد من التعامل فقد مؤشر داو جونز قرابة ٤٠٠ نقطة في حين تراجع مؤشر ستاندرد آند بورز بواقع ١٥٠ نقطة.

ومن أبرز الأزمات التي حملتها الأزمة المالية في طياتها هي تدهور أسواق المال العالمية ومن أهمها البورصات الأميركية والأوروبية والآسيوية والمصرية والعربية فلقد تأثرت سوق الأسهم الأميركية بدرجة كبيرة من جراء الأزمة المالية ما أدى إلى هبوط المؤشرات بدرجات كبيرة، ومن أهم المؤشرات الأميركية هي:

INDEX NASDAQ COMPOSITE STOK



فلقد هوى مؤشر ناسداك من نقطة ٢٣٠٠ التي كان قد وصل إليها في شهر شباط/ فبراير ٢٠٠٨م إلى ١٥٣٢ في شهر شباط/ فبراير ٢٠٠٩م ولقد تأثرت أيضاً بورصة لندن بسبب الأزمة المالية الأميركية، وقد هوى مؤشر

تداول فيها هذه الأصول المالية؛ ما أعطى المتعاملين درجة من الثقة في سلامة هذه الأصول المالية.

ثم تطورت الأمور إلى أن صارت أسواق تبادل الأوراق المالية لا تمت إلى الاقتصاد الحقيقي بصلة أكثر من الاسم إن وجد.

إضافة إلى أن تحليل أسباب الأزمة المالية المعاصرة أبرز أنها تتركز حول النظم الوضعية الآتية:

- نظام الفائدة (الربا) على الودائع، ونظام الفائدة على القروض.
- نظام التجارة بالديون أخذاً وعطاءً.
- نظام جدولة الديون مع رفع سعر الفائدة مقابل زيادة الأجل.
- نظام بيع الديون.

وعليه فلا غرابة إذا سمعنا عن ثراء رقمي فاحش أوفقر أو دين رقمي كبير جداً، فلك أن تتصور أن إجمالي الدين الحكومي الداخلي والخارجي في الولايات المتحدة قد بلغ أكثر من ١١ تريليون دولار. وتأتي الصين في مقدمة الدول الدائنة للولايات المتحدة حيث قدمت ما يقرب من ٤٥٠ مليار دولار وتليها بريطانيا ثم اليابان ثم السعودية.

تأثير الأزمة المالية على البورصات العالمية ومنها العربية

زادت الأمور توتراً بعد فشل بنكي الاحتياطي الفيدرالي الأميركي، والبنك المركزي الأوروبي في التخفيف من حدة

البورصة السعودية

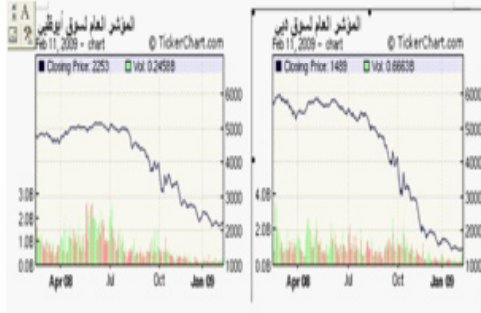
General Stock Index



كذلك أيضاً فقد هوت البورصة السعودية
” أكبر البورصات العربية ” متأثرة بالأزمة
المالية العالمية مثلها مثل جميع البورصات
وأسواق المال العالمية .

بورصة الإمارات

Abu Dhabi Stock Index Dubai Stock Index

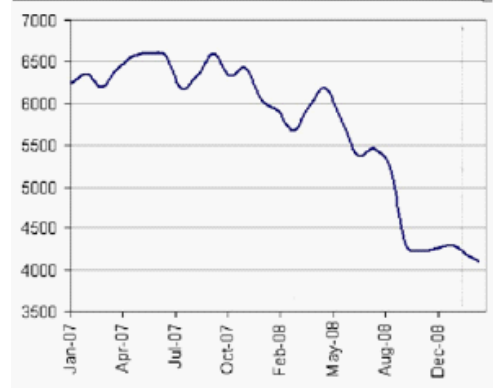


كذلك أيضاً قد تأثرت أسواق الإمارات
المالية بالأزمة المالية على غرار الأسواق
العالمية.

فلقد تأثر مؤشر سوق دبي بدرجة كبيرة،
حيث إنه هوى من ٦٠٠٠ نقطة إلى دون مستوى
٢٠٠٠ نقطة أي مستوى ١٥٠٠ نقطة، أما سوق
أبو ظبي فكان أقل حدة من سوق دبي حيث
إنه قد هوى من مستوى ٥٠٠٠ نقطة إلى أعلى
من ٢٠٠٠ نقطة.

وعن أسباب تأثر البورصات العربية بالأزمة
المالية فقد قال أحمد بشتو: ما بين الخميس

البورصة الرئيسي من ٥٧٠٠ في شهر فبراير/
شباط ٢٠٠٨م إلى ٤٢٠٠ في شهر فبراير/
شباط ٢٠٠٩م.



تأثير الأزمة المالية على البورصة المصرية



أما البورصة المصرية فلم تكن بمنأى عن
الهبوط الحاد للبورصات العالمية، فلقد تأثرت
البورصة المصرية بدرجة كبيرة جداً، وهو
ما يوضحه الرسم البياني الذي يعرض مؤشر
إيجي إكس ٣٠ كاس ٣٠ سابقاً «الذي يقيس
أفضل ٣٠ شركة في البورصة ، فلقد هوى
المؤشر من عند أعلى قمة وصل إليها على
مدار السنوات الماضية، حيث إنه قد وصل
إلى مستوى ١٢٠٠٠ نقطة في شهر نيسان/
أبريل ٢٠٠٨م إلى أن وصل إلى ٣٥٠٠ نقطة في
شباط/ فبراير ٢٠٠٩م.

تأثرها بالأزمة، وهي: المجموعة الأولى: هي الدول العربية ذات درجة الانفتاح الاقتصادي والمالي المرتفعة وتشمل دول مجلس التعاون الخليجي العربية.

المجموعة الثانية: وهي الدول العربية ذات درجة الانفتاح المتوسطة أو فوق المتوسطة ومنها مصر والأردن وتونس.

المجموعة الثالثة: وهي الدول العربية ذات درجة الانفتاح المنخفضة ومنها السودان وليبيا. بالنسبة للمجموعة الأولى، فإن صادراتها تمثل نسبة كبيرة من الناتج المحلي، ويعتبر النفط هو المصدر الرئيسي للدخل الوطني. وقد لوحظ جراء تداعيات الأزمة انخفاض أسعار النفط من حوالى ١٥٠ دولاراً للبرميل في شهر يوليو/تموز الماضي إلى حوالى ٧٧ دولاراً للبرميل حالياً، أي بانخفاض بنسبة ٥٠٪. ومما لا شك فيه أن هذا الانخفاض الحاد سيؤثر على وضع الموازنات العامة القادمة وعلى معدلات النمو الاقتصادي، إذ إن معدلات النمو في النصف الثاني من العام ٢٠٠٨م والعام ٢٠٠٩م ستخضع مقارنة بمعدلات عام ٢٠٠٧م والنصف الأول من العام ٢٠٠٨م.

من ناحية أخرى، يلاحظ أن النشاط المالي لدول الخليج في العالم الخارجي كبير، حيث تم استثمار جزء لا يستهان به من عوائد النفط، وحيث يلاحظ أن دول الخليج أصبحت تمتلك صناديق ثروات سيادية تستثمر في الخارج خصوصاً في الولايات المتحدة وأوروبا.

ومما لا شك فيه أن هناك بعض الصناديق التي يمكن أن تكون لها استثمارات في بعض المؤسسات المالية المتعثرة. وتشير بعض التقديرات إلى أن خسائر

الأسود والاثنتين الأسود والثلاثاء الأسود عاشت بورصاتها العربية أياماً حالكه، البورصة الأردنية خسرت في أسبوع واحد خمسة مليارات دولار، وكذلك البورصة المغربية. وقال أحد المضاربين في السوق المصرية إنه لم ير أياماً كهذه، المؤشر العام يتآكل والأسهم تهوي بسرعة ومعها تتطاير أموال الناس، البعض يقدر أن قيمة خسائر سوق القاهرة تصل لـ ٢٦٠ مليار جنيه مصري منذ بداية الأزمة، ثلاثون شركة تم وقف التداول عليها في أحد الأيام لانخفاضها بنسبة ٢٠٪ مرة واحدة، وهو الحد الأقصى للهبوط. عدد من الخبراء طالب الصناديق الحكومية والبنكية المصرية بالتدخل العاجل لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، ولإعادة الطمأنينة للمتداولين خاصة الصغار منهم والذين وصل الأمر ببعضهم إلى الانتحار كمداد كتاجر الأدوات الكهربائية الذي دفع تحويشة عمله في الكويت لسنوات عدة وباع متجره ليستثمر في البورصة، وعندما خسر كل شيء صنع لنفسه مشنقة لفها حول عنقه ليموت كمداد، لاعتناً المال وأسواقه وبورصاته.

انعكاسات الأزمة على الدول العربية

انعكست الأزمة المالية الأميركية على معظم اقتصادات دول العالم حتى إنها أصبحت تلقب بالأزمة المالية العالمية. وبما أن الدول العربية جزء من منظومة الاقتصاد العالمي فإنها سوف تتأثر سلباً بهذه الأزمة، بل في واقع الأمر قد تأثرت بالفعل. ومدى تأثر الدول العربية يعتمد على حجم العلاقات الاقتصادية المالية بين الدول العربية والعالم الخارجي.

في هذا الإطار يمكننا تقسيم الدول العربية إلى ثلاث مجموعات من حيث مدى

الصباح في وقت سابق: إن المصرف سيضخ أي كمية لازمة من الأموال لضمان سيولة كافية.

بدوره، اتخذ المصرف المركزي المصري عدة إجراءات قال مصدر مسؤول في المصرف إنها أدت إلى انحسار الخسائر محلياً جراء الأزمة المالية الأميركية، وما تبعها من أزمة عالمية

وعن مدى كفاية إجراء ضخ الأموال لمواجهة الأزمة المالية وقدرته على حماية الاقتصادات العربية من الوقوع في براثن الأزمة المالية العالمية، قال علي الموسى نائب محافظ بنك الكويت سابقاً لشبكة "إسلام أون لاين. نت": إن "ضخ الأموال هو الإجراء الميسر؛ كون ضخ السيولة لا يحتاج إلى سن تشريعات أو اتخاذ إجراءات غير معتادة

أما الدكتور عصام خليفة العضو المنتدب لشركة الأهلي المصرية لإدارة الصناديق المالية فقال: إنه "ليست هناك إجراءات يمكنها منع التأثير بالأزمة، ولكن توجد إجراءات تقلل من آثار الأزمة قدر الإمكان"،

بعد هذا العرض لهذا الواقع وما أفرزه من آثار فإننا لا نملك إلا أن نؤكد أن الحل الناجع وما يجب أن يكون عليه الأمر هو الكفر بالنظام الاقتصادي الرأسمالي بل وبكل الأنظمة الوضعية، ووضع النظام الإسلامي بدلاً منها موضع التطبيق العملي فهو من لدن حكيم خبير ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك ١٤].

ولن يكون ذلك إلا في ظل دولة الخلافة الإسلامية التي نسأل الله أن يكون وجودها قريباً بإذن الله □

صناديق الثروات السيادية في الدول الناشئة بما فيها دول الخليج تقدر بحوالى ٤ مليارات دولار.

وتقدر الاستثمارات العربية بالخارج بحوالى ٢.٤ تريليون دولار، وكما هو معلوم فإن هذه الاستثمارات مملوكة للحكومات والأفراد، ولكن معظمها يعود لدول الخليج، وسوف تتأثر تلك الاستثمارات بحسب الجهة التي يتم الاستثمار فيها.

وكما كانت تلك الجهة تتميز بدرجة عالية من المخاطر، فإن درجة التعرض إلى خسائر تكون أكبر، ومما لا شك فإن هناك بعض الخسائر ولكن غير معلن عنها

أما بالنسبة لدول المجموعة الثانية، فإن تأثيرها بالأزمة سيكون أقل من دول المجموعة الأولى باستثناء تأثر البورصات فسيكون في مستوى تأثر بورصات المجموعة الأولى.

أما بالنسبة لدول المجموعة الثالثة، وهي ذات درجة الانفتاح الاقتصادي والمالي المحدودة، فسيكون التأثير عليها محدوداً أيضاً.

المواقف العربية بين الرسمية وما يجب أن

تكون عليه:

وفي أواخر سبتمبر/ أيلول الماضي ضخ المصرف المركزي الإماراتي نحو ٥٠ مليار درهم (حوالي ١٣.٦ مليار دولار)؛ لتخفيف التوترات القائمة في القطاع المصرفي الذي يعاني من نقص السيولة، وأعلن المصرف عن هذا التمويل بعد أن كادت تتوقف حركة الإقراض بين المصارف الإماراتية.

كما أعربت الكويت عن استعدادها لإجراء مشابه؛ إذ قال محافظ المصرف المركزي الكويتي الشيخ سالم عبد العزيز

الاندماج وحقوق الأقليات

م. محب الله النور - الخرطوم - السودان

فكرة الاندماج وفكرة حقوق الأقليات فكرتان متناقضتان في المفهوم السياسي، ومع ذلك نجد أن الحكومات الغربية تنادي بهما وتسعى سعياً حثيثاً لإنفاذهما على أرض الواقع. فكيف استطاعت هذه الحكومات الجمع بين الدعوة إلى هاتين الفكرتين المتناقضتين وجعلهما أمراً لا بد من إنفاذه؟ وقبل الإجابة عن هذا السؤال، لا بد من التطرق لماهية هاتين الفكرتين.

الاتحاد الأوروبي أن يحترمها». كما صرح الرئيس الفرنسي ساركوزي لوكالة (أكي) الإيطالية للأنباء قائلاً: «من يريد الإقامة في فرنسا فعليه احترام ثقافتنا وقيمنا وقوانيننا، فلا مكان في فرنسا لتعدد الزوجات ولا للختان ولا للحجاب ولا للزواج بالقوة». أما في ألمانيا فحسب تغيير رئيس الجالية التركية الدكتور حقي كسكين، يفهم الاندماج على أنه «تطبيع الأجانب بالثقافة الألمانية».

من التصريحات السابقة وغيرها نخلص إلى أن مصطلح الاندماج عند الغربيين يقصد منه الانخراط في الحياة العامة الغربية ثقافياً ولغوياً واجتماعياً واقتصادياً وأخلاقياً وغيرها، على أن يكون هذا الانخراط سائراً، بل ومندرجاً في بوتقة المجتمع الغربي قلباً وقالباً، تفكيراً وسلوكاً، بعيداً عن أي تصارع مع أخلاق وتقاليد الغربيين. واللافت للنظر أن هناك حرصاً متناهياً

إن الذي يريد أن يصف واقع الاندماج الذي تحدث عنه وسائل الإعلام وبخاصة الغربية منها فإنه لا يرجع للقواميس العربية أو الأجنبية، لا يرجع لهذه القواميس لمعرفة ماذا تعني كلمة اندماج، وكذلك لا يخاض في دقة التراجم لهذه الكلمة وهل يقصد بها الضم أو الانضمام أم التأليف والإدغام أو غيرها، نقول لا يرجع لهذه القواميس ولا إلى جدل دقة الترجمة من عدمها. لأن كلمة (الاندماج) مصطلح سياسي يستخدمه الساسة الغربيون. ولنتبين معناها علينا الرجوع لأقوال هؤلاء الساسة:

يقول فرانكو فراتيني، نائب رئيس المفوضية الأوروبية: «إن الاندماج يعني أن يتفق الناس على نفس المبادئ الرئيسية، أي أن المهاجرين يجب أن يقبلوا القوانين والأسس والقيم الرئيسية المتبعة في أوروبا مثل حقوق الإنسان، والمساواة بين الرجل والمرأة وغيرها، ويجب على كل من يرغب في الاندماج في دول

تمنحهم فرصة الاندماج سنوياً»، فقد اشترط مسبقاً أن صلاحية الشخص للاندماج هي التي تمنحه الفرصة للهجرة لفرنسا وليس ما يلاقيه من ملاحقات أو مضايقات في وطنه الأصل كما يدعون، إن ذلك هو الشرط لإعطاء حق اللجوء السياسي». هذا وقد نص القانون الفرنسي الجديد على أن كل من ترتدي النقاب تتعرض لعقوبة غرامة قدرها (١٥٠) يورو، وتصل إلى عشرة أضعاف هذا المبلغ، أي (١٥٠٠) يورو، على من يجبر أي امرأة على ارتداء النقاب. ومن حرص السلطات الفرنسية على عدم تركيز ارتداء النقاب جعلت حضور دورة في المواطنة يمكن أن يكون بديلاً للغرامة المالية. كما حاول الرئيس ساركوزي اعتماد أساليب الإغراء، وذلك حينما تعهد بأن تقوم الحكومة بمرافقة مئة ألف شاب من سكان الضواحي باتجاه دخول العمل على مدى ثلاث سنوات، وذكر أن هذه الخطة تتضمن معاهدة استقلالية موجهة إلى (٤٥) ألف شاب لمساعدتهم على تعلم القواعد الضرورية للاندماج ضمن المؤسسة.

وقد حذت بلجيكا حذو فرنسا، حيث وافق مجلس النواب، وهو المجلس الأدنى في البرلمان البلجيكي، بأغلبية ساحقة، يوم الخميس ٢٩/٤/٢٠١٠م، على قانون يحظر ارتداء النقاب في الأماكن العامة. فقد صوت لصالح القانون ١٤١ نائباً من نواب البرلمان، وتغيب اثنان ولم يعارضه أحد. وطبقاً للقانون يعاقب كل من يخالف القانون بغرامة تصل إلى ٢٥ يورو، ويمكن أن يواجه السجن لمدة سبعة أيام أو السجن والغرامة معاً، ما لم يحصل على تصريح من الشرطة بارتداء مثل هذه الملابس. وقد طالب وزير المالية الألماني بحظر ارتداء الحجاب في المدارس الألمانية، وفي إسبانيا طردت المحامية (زبيدة) من قاعة إحدى المحاكم بعد ما رفضت خلع الحجاب. وقد دعا رئيس حكومة هولندا «يان بيتر بالكنده»

من قبل الساسة الأوروبيين على مسألة دمج الأقليات، وقد أنشئت في كل دولة من دول أوروبا وزارة أو مفوضية خاصة للاندماج، ووضعت الميزانيات، وكثرت الاجتماعات التي تناقش مسألة الاندماج، سواء على مستوى الدولة منفردة أو على مستوى الاتحاد الأوروبي، فها هي المفوضية الأوروبية تخصص هذا العام مبلغ (٨٢٥) مليون يورو لدعم مشاريع الاندماج على مدى خمسة أعوام.

وتمهيداً لذلك عقد الوزراء المسؤولون عن الاندماج في الاتحاد الأوروبي، إضافة إلى وزراء الدول المرشحة للانضمام إليه وهي (كرواتيا وتركيا ومقدونيا) اجتماعاً خاصاً قبل عدة أشهر في مدينة بوتسدام الألمانية، بحثوا فيه آفاق التعاون بين دول الاتحاد، حول كيفية وضع الحلول والآليات المناسبة للتعاطي مع قضايا الاندماج وإشكالاته بطريقة فاعلة. ومن أبرز ما طرح في هذا الاجتماع حسب قول وزير الداخلية الألماني (فولفانغ شوبيله): «إن قضية اندماج ملايين من المهاجرين الذين يعيشون في أوروبا مسألة لها أولوية قصوى، وأحد أهم التحديات أمام الاتحاد الأوروبي»، وقد شكلت في ألمانيا لجنة مشتركة من الولايات ترأستها ولايتا «الراين الشمالي فيستفاليا (NRW) وبرلين»، يهدف إلى وضع تعريف موحد لعملية الاندماج، وتحديد الأسباب الأساسية للهجرة واللجوء، ودراسة تاريخ الهجرة إلى ألمانيا، ووضع المعايير الموحدة لقياس مدى اندماج الأجانب في المجتمع. وقد وضعت بعض الولايات الألمانية معايير لإعطاء الجنسية، فمثلاً ولاية بادن فورتمبيرغ وضعت (١٠٠) سؤال إضافة إلى امتحان اللغة والتاريخ للتأكد من صلاحية الشخص للاندماج في المجتمع.

أما فرنسا فقد اتبعت عدة تدابير لضمان الاندماج، قال الرئيس (ساركوزي): «سنحدد كم عدد الأجانب الذين يمكن لفرنسا أن

يريدون أن يطمسوا هوية المسلمين، ولا يريدون أن تكون لهم صفة كيانية تحفظ لهم هويتهم داخل أوروبا، لا سيما وأن تعداد المسلمين في دول الاتحاد الأوروبي قد تجاوز (٢٧) مليون، وهي قابلة للزيادة، وهم أصحاب عقيدة سياسية لها تاريخ وحضارة ملأت الدنيا لعدة قرون، ولهم قلوب تهفو إلى عودة تلك الحضارة.

أما الفكرة الثانية التي يحرص الغرب على ايجادها ونشرها بل وجعلها من أهم القضايا على الساحة السياسية، هي فكرة حقوق الأقليات؛ والتي هي جزء من حقوق الإنسان، وفكرة حقوق الإنسان فكرة قديمة لها ثلاثة جذور:

الأول: ظهر في فيلادلفيا في ١٧٧٦/٧/٤م في الولايات المتحدة الأميركية.

الثاني: في فرنسا في أغسطس ١٧٨٩م عبر إعلان حقوق الإنسان الوطني.

الثالث: ظهر في المزج بين الاثنين عبر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي تبنته الأمم المتحدة في ١٩٤٨/١٢/١٠م.

وقد قال عنها - أي حقوق الإنسان - الباحث والأستاذ بجامعة جنيف والسوربون (جان زيفلر): «إن جذور فكرة حقوق الإنسان هي جذور أوروبية وتحولت إلى فكرة كونية، ولكن يتم ضيافتها باستمرار من أصحابها أنفسهم، أي الغرب وأوروبا».

هذا وقد أصدرت الأمم المتحدة عدة إعلانات واتفاقيات تتعلق بحقوق الإنسان وعلى رأسها حقوق الأقليات نذكر منها:

١- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ١٩٤٨م الذي يتحدث عن حقوق الأقليات.

٢- الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري ١٩٦٥م، ودخلت حيز التنفيذ ١٩٦٩م، وتعد الأشمل فيما يتعلق بحقوق الأقليات الإثنية.

٣- العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية ١٩٦٦م وينص على أنه «لا يجوز

إلى إغلاق المدارس الإسلامية، وعددها خمس وثلاثون مدرسة بحجة أنها لا تشجع على إدماج الأطفال المسلمين داخل المجتمع، وقد تم حشد شتى الإمكانيات القانونية والمادية والدعائية التي وظفتها العديد من الدول الغربية في شكل مشاريع عدة، تتآلف حول أهداف موحدة، وتكفلت مختلف الأجهزة بتطبيق ذلك؛ من وزارات وأحزاب ومؤسسات تعليمية وشركات وجمعيات وغير ذلك، وعند إنعام النظر لهذا الاهتمام اللافت لهذه القضية تشعر كأنك لست أمام سياسة اندماج وإنما أمام ثورة الاندماج.

والسؤال هو: لماذا كل هذه الإصرار على مسألة الاندماج حتى وان أدت إلى مخالفة القوانين الدولية؟ فقد حذرت منظمة العفو الدولية من أن «اتجاه بلجيكا إلى فرض حظر كامل على ارتداء النقاب، في إجراء يُعد الأول من نوعه في أوروبا، يمثل سابقة خطيرة. إذ يجب دائماً أن تكون القيود التي تفرض على حقوق الإنسان متناسبة مع هدف مشروع. ولا ينطبق ذلك على الحظر الكامل على ارتداء النقاب»، وقال جون دالوين، الخبير لدى منظمة العفو الدولية في قضايا التمييز في أوروبا، إن «فرض حظر كامل على تغطية الوجه يُعد انتهاكاً للحق في حرية التعبير والحرية الدينية بالنسبة للنساء اللاتي يرتدين البرقع أو النقاب تعبيراً عن هويتهم أو معتقداتهم. كما حذر مجلس الدولة - وهو أكبر هيئة إدارية في فرنسا - من أن القانون «يشكل انتهاكاً للدستور»، وهم يعنون القانون الذي قرره ساركوزي والذي يقضي بحظر كامل لتغطية الوجه.

واللافت للنظر أن التركيز في هذا الشأن ينصب وبشكل أساسي على المسلمين، إذ إنه توجد أقليات من يهود وهندوس وغيرهم، ولهم شعائر وشعارات كعمامة السيخ وقلنسوة يهود لكن لا أحد يذكرها أو يتعرض لها، إذا لماذا صوبت السهام على المسلمين؟ نعم إنهم

وجه الخصوص يعقدون مؤتمراً سنوياً يرمي من قبل أميركا تمويلاً وإعلاماً، ويجد كل الدعم من قبل الحكومة والمنظمات الأميركية ذات الصلة، وذلك لابتزاز الحكومة المصرية حالياً ولتنفيذ مخططاتهم في مصر لاحقاً وذلك بإيجاد كيان سياسي لهم في صعيد مصر. أما العراق والذي لم يبق له من التمزق إلا الإعلان، بالرغم من أن هذه الطوائف عاشت مع بعضها البعض طيلة القرون السابقة؛ ولم يذكر أن هذه الطوائف قد تقاتلت أو تناحرت عبر كل ذلك التاريخ الطويل. وقد سلخت أريتريا من إثيوبيا، كما وسلخ إقليم تيمور الشرقية في إندونيسيا، وها هو كل العالم يسمع ويرى ما يجري في السودان، بعد إعلان اتفاقية نيفاشا على حق تقرير مصير جنوب السودان، والقصد منه الانفصال، كما ذكر المبعوث الأميركي الخاص للسودان بأن الانتخابات في السودان مزورة، ولكن أميركا تعترف بها لأنها تؤدي إلى استقلال جنوب السودان، أي أن أميركا هي التي سعت إلى فصل جنوب السودان.

وقبل أن يجف حبر نيفاشا أعلن الحرب في إقليم دارفور، وقد تباكت كل وسائل الإعلام الغربية على سكان دارفور، واعتبرت ذلك إبادة جماعية وأقامت الدنيا ولم تقعد، وهبت المنظمات التي تسمى إنسانية هبة رجل واحد لإنقاذ إنسان دارفور، حيث بلغت أكثر من مائة منظمة لها أكثر من ستمائة فرع داخل السودان، وهكذا تم إحصاء (١٧) مليون مادة خيرية في عشرين شهراً خلال عام ٢٠٠٤م وبداية عام ٢٠٠٥م فقط في أربع وكالات أنباء، هي وكالة الأنباء الفرنسية والأسوشيتد برس ووكالة رويترز والـ (بي بي سي)، منها ٥: فقط أقرب إلى الاعتدال في معالجتها للمشكلة. لكن لماذا كل هذا الاهتمام العالمي، ولماذا قفزت أزمة دارفور إلى واجهة الأحداث بتلك السرعة بينما كان يجري استتباب السلام؟ وكانت هذه الثورة بعد أقل

حرمان الأشخاص المنتسبين إلى الأقليات من حق التمتع بثقافتهم الخاصة أو المجاهرة بدينهم وإقامة شعائهم».

٤- اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة ١٩٧٩م، وأن التمييز الممارس ضد نساء الأقليات الإثنية والعرقية يعتبر انتهاكاً لهذه المعاهدة.

٥- اتفاقية حقوق الأطفال ١٩٨٦م تحمي هذه الاتفاقية حقوق أطفال الأقليات الإثنية أو العرقية أو الدينية أو اللغوية في التمتع بثقافتهم أو المجاهرة بدينهم أو إقامة شعائهم.

وقد استغلت الدول الكبرى هذه الاتفاقيات في العالم الثالث أيما استغلال، وذلك إما بتقسيم البلد الذي تريد تقسيمه، أو لابتزاز من يراد ابتزازه وذلك من أجل أن ينفذ ما هو مطلوب منه. وبالنظر إلى التقرير الذي نشرته مؤخراً مجلة القوات المسلحة الأميركية بقلم (رالف بيترز)، وهو تقرير ملغوم وخطير، فالكاتب هو كولونيل سابق في الجيش الأميركي، وعمل سابقاً في شعبة الاستخبارات العسكرية، والتقرير يتحدث عن تغير ملامح الشرق الأوسط من الناحية الجغرافية والسياسية، وهو يضع خريطة كيانات جديدة وأخرى مدمجة، وثالثة متفتتة، ويستدعي التقرير عدة مبررات لذلك التغير، ويعتمد في صلبه على استدعاء الإثنيات القومية والدينية والمذهبية لتكون ملامحاً لدولة جديدة. أما صلب التقرير ومشروعيته فيعتمد على ظلم الطائفة أو العرق.

وتطبيقاً لهذا التقرير، وبالنقل إلى الواقع، فإن النماذج لا تعد ولا تحصى نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

ففي مصر نجد قضية الأقباط والتي يثار فيها بأن الأقباط أقلية مضطهدة وحقوقهم مهضومة من قبل الأكثرية المسلمة في مصر؛ فصاروا يعقدون المؤتمرات والندوات وذلك في كل الدول الغربية، وفي أميركا على

تهميشاً وهناك إقصاء وهناك ظلماً بصفتهم أقليات عرقية أو طائفية أو إثنية، نقول لهؤلاء: إن الحكومات القابعة على كراسي السلطة، والذين هم ظلمة وفسقة وبرعوا في هضم حقوق الرعية وذلك ليس لكونهم ضد أقلية معينة بل لكونهم يحكمون بغير ما أنزل الله، ولكونهم ينفذون سياسة أسيادهم في الغرب حفاظاً على عروشهم، لأن هذه الحكومات في وصولها للسلطة والاستمرار فيها فانها تستند على الحكومات الغربية بشكل مباشر أو غير مباشر، فقد صرحت بذلك كوندليزا رايس وزيرة الخارجية الأميركية السابقة قائلة: «دعنا الحكومات الديكتاتورية ولمدة ستين سنة على حساب الديمقراطية».

نقول إن الاستجابة لدعوة هؤلاء الكفار المستعمرين ما هي إلا انتحار سياسي يجب الابتعاد عنه، وإثم عظيم يلقي بصاحبه في جهنم، فهاهم حكام العراق ماذا جرّوا لبلادهم بعد أن استجابوا لدعوات أميركا بالتخلي عن نظام (صدام) الدكتاتوري، أكثر من اثنين مليون قتيل، وأربعة ملايين مشرد، وحطام دولة لا تتنفس إلا برضا أميركا. وها هو د. خليل إبراهيم أحد متمردي دارفور وبعد أن تلقى في تنفيذ ما طلب منه أصبح الآن أشبه بالسجين، فبعد أن سحبت دولة تشاد منه الأوراق الثبوتية لجأ إلى ليبيا التي تحاصره في فندق لا يقابل أحداً، ولا يصرح لوكالة، ولا يسافر إلى أي بلد. نقول احذروا مثل هذه المصائر ولا تستجيبوا لأعدائكم فهم لا عهد لهم ولا ذمة. بل الواجب هو أن توحدوا جهودكم مع العاملين للخلاص من هذه الأنظمة العميلة، ووضع الإسلام لا نقول بديلاً لها، ولكن هو الأصل الذي يجب أن يسعى لإيجاده، وكمنس هذه الأنظمة الفاسدة المدعومة من قبل الرأسماليين الغربيين، ومبايعة خليفة بديلاً لهؤلاء الحكام.

﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَمَلُونَ﴾ ﴿١١﴾ □

من شهرين من مجزرة غزة التي راح ضحيتها في خمسة أيام فقط أكثر من (١٤٠٠) شخص غالبيتهم من الأطفال والنساء والشيوخ، ودمرت المستشفيات والمدارس والمساجد فلم تدمع لهم عين في الغرب!

وما نخلص إليه هو الإجابة عن السؤال في بداية المقالة، أن الغرب يناهز بفكرتين متناقضتين، وهما الاندماج ويعني به المسلمين في أوروبا كي يكونوا جزءاً من المجتمع الأوروبي بعد أن يفقدوا هويتهم، والأخرى هي فكرة حقوق الأقليات في البلاد الإسلامية لتتمكن من تقسيمها وتجزئة الجزأ منها وتفتيت المفت.

نقول للمسلمين في المجتمعات الغربية: إنكم قد صمدتم واستطعتم أن تحافظوا على هويتكم، بالرغم من المجهودات الكبيرة التي بذلت من أجل إذابتكم وطمس هويتكم، وقد اعترفت الدول الغربية بفشل سياساتها من أجل الدمج، ففي الوقت الذي ترى فيه الحكومة الألمانية أن هناك تلكؤاً في عملية الاندماج، فإن الحكومة البلجيكية ومنذ عام اعترفت رسمياً بفشل سياسة الاندماج التي اتبعتها لدمج الأجانب المقيمين فيها.

وإن ما يجب على المسلمين القيام به هو علاوة على تمسكهم بهويتهم هو شرح عقيدة الإسلام، وتبيين زيف الأفكار التي تحاول أن تجعل من الإسلام والارهاب متطابقين. ثم يجب أن تطمئن الشعوب الغربية بأن الخلافة القادمة ليست عدوة لهم كما يحاول السياسة الغربيون ذلك، بوصف الإسلام السياسي بأنه إسلام راديكالي وأنه يمثل خطراً عظيماً على الإنسانية.

كما نوجه رسالة إلى أبناء المسلمين وغير المسلمين في البلاد الإسلامية، والذين يستجيبون للدعوات التي يطلقها الغرب وذلك لتحقيق مصالحه ولو على حساب وحدة كيانه السياسي، وذلك بحجة أن هناك

ملك السويد يطلب اللجوء لدى الإمبراطورية العثمانية

هذا المقال بهذا العنوان مترجم من اللغة الدنماركية إلى العربية، نقلاً عن موقع الصحيفة الدنماركية «كريستليت داوبلاذ» (Kristeligt Dagblad)، وهي صحيفة ذات توجه مسيحي. عنوان موقع الصحيفة: WWW.Kristeligt-dagblad.dk.

في عام ١٧٠٠م كان الروس قد وقعوا اتفاقية مع الإمبراطورية العثمانية، يتعهد بموجبها الطرفان بعدم انتهاك السيادة الجغرافية للطرف الآخر، وهو ما فعله الروس بملاحقة الملك السويدي داخل المناطق العثمانية. ولذلك فقد أرسل السلطان أحمد الثالث قواته إلى آزوف لنجدة ملك السويد. قرر كارل الثاني عشر طلب اللجوء لدى الإمبراطورية العثمانية، واستقر في مدينة بندر (Bender)، المسماة حالياً بمولدافيا، يصحبه معظم رجاله. وعاش ملك السويد ما يقارب ٦ سنوات في ظل الحماية العثمانية، وأنفق عليه من قبل نظام المساعدات اليومية المعمول به في الإمبراطورية لتغطية نفقات إقامته. والأمر العجيب أن الملك كارل الثاني عشر تلقى معاملة نظيره السلطان أحمد، وليس كما جرت العادة بالنسبة للأمرء الغرباء الذين تجري معاملتهم كوزير محلي. لقد مكث الملك كارل لمدد طويلة في إسطنبول، بينما بقي جنوده في بندر وشاركوا في النزاعات

كان كارل الثاني عشر ملك السويد الكبير يلقب بـ«الملك المحارب» لخوضه العديد من الحملات العسكرية، إلا أنه لم تسر جميع حملاته العسكرية على ذات المنوال. لقد ارتكب الملك خطأً استراتيجياً حينما حاول اجتياح روسيا سنة ١٧٠٧م وخاض الحرب ضد بيتر الكبير. وفي معركة بولتافا (Poltava) بتاريخ ٨ تموز/ يوليو ١٧٠٩م وقعت الكارثة، حينما تلقت قوات كارل الثاني عشر ضربات موجعة، حتى إن من نجا من قواته البالغ عددهم حوالي ٢٠,٠٠٠ جندي لم يكن لهم خيار إلا الاستسلام للاعتقال الروسي. ومع ذلك فقد تمكن الملك السويدي من الفرار مع حوالي ١٠٠٠ من جنوده، لكن الروس استمروا في ملاحقته. وبعد بضعة أيام عبر الملك كارل الثاني عشر الحدود الروسية - العثمانية مع رجاله بحثاً عن مكان يحتمي فيه قرب آزوف (Assov)، وهي تقع قرب الجهة الشمالية لبحر قزوين. وهناك هاجم الروس الملك وقتلوا معظم رجاله.

و(Kalabalik) أي صخب، وهي مفردات ظهرت للمرة الأولى في اللغة السويدية في تلك الفترة. وقد أعجب كارل الثاني عشر بشكل خاص بتخطيط المدن العثماني، وبمجرد عودته إلى بلده السويد، حمل مساعديه على إقامة حدائق وفقاً للنموذج القائم في إسطنبول، كما أطلق على اثنتين من السفن الحربية التابعة للملك اسمي (Jilderim) و(Jaramaz)، وفق الألفاظ التركية، فالأولى تعني "البرق"، والثانية تعني "المارقة". ومن الأشياء التي تعلمها كارل الثاني عشر أثناء إقامته هي لعبة الشطرنج، حيث جلب هذه الرياضة لضباطه في السويد. وفي ذلك الحين، وخلال إقامته في الإمبراطورية العثمانية، أمر كارل الثاني عشر بإرسال بعثة علمية إلى العالم الإسلامي. تحت قيادة الجنرال كورنيليوس لووس.

لقد حافظ كارل الثاني عشر على اهتمامه بالعالم الإسلامي بعد عام ١٧١٤م. وبعد عودته إلى السويد حافظ الملك السويدي على علاقاته الحسنة بالإمبراطورية العثمانية من خلال القنوات الدبلوماسية. وتكشف الوثائق أن الإمبراطورية العثمانية دعمت السويديين مرات عديدة بمبالغ كبيرة، ولم يتمكن السويديون من تسديدها، مع قيامهم ببعض المحاولات من خلال إرسال الأسلحة والسفن إلى السلطان العثماني.

تضمنت بعض هدايا الإمبراطورية العثمانية إلى الملك السويدي مجموعات من الإبل يصحبها رعاتها، وقد وضعت في قصر الملك. كما أن

الحدودية بين الإمبراطورية العثمانية والروس. وقد بلغت النزاعات ذروتها في موقعة النصر في بروث (Pruth) تحت قيادة أحد الجنرالات العثمانيين ويدعى بلطشي محمد باشا، حيث شارك فيها كارل الثاني عشر أيضاً. أمضى كارل الثاني عشر فترة مدهشة في الإمبراطورية العثمانية، حيث درس بعناية التقدم الاجتماعي والعسكري والتكنولوجي فيها، وعندما عاد إلى السويد في عام ١٧١٤م طَبَّق العديد من الأمور التي شاهدها محمد باشا، حيث شارك فيها كارل الثاني عشر أيضاً. حصل كارل الثاني عشر أثناء إقامته في الإمبراطورية العثمانية على لقب (ديمرباس سارل)، بسبب حصوله على نفقات إقامته، حيث يمكن ترجمتها حرفياً بـ(كارل ذو المساعدة)، وبما أن لفظة (ديمرباس) يمكن أيضاً ترجمتها حرفياً بـ(رأس الحديد)، فقد اختار الملك كارل قبول اللقب مع احتمال التأويل الساخر. لكن ما هو التأثير الذي أحدثته الثقافة العثمانية في السويد أثناء حكم كارل الثاني عشر؟ لقد تعلم السويديون على سبيل المثال طريقة إعداد الطعام العثماني حيث أعجبوا به، فهناك مثلاً (دولمه)، وهو طعام محشو بالخضروات، وحلوى الفاكهة والقهوة، وهذه الأمور الثلاثة تعتبر أساسية في ثقافة الطعام السويدية. وهناك أيضاً مفردات من مثل (Sofa)، أي كنبه، و(Kisok) أي كشك، و(Divan) أي ديوان،

وهذه الفتاوى، معها عدد من الوثائق العثمانية، متوفرة ويمكن الاطلاع عليها في الأرشيف السويدي (Carolina Redivivas) للمحفوظات العثمانية، ويمكن مشاهدتها في المكتبة الملكية السويدية.

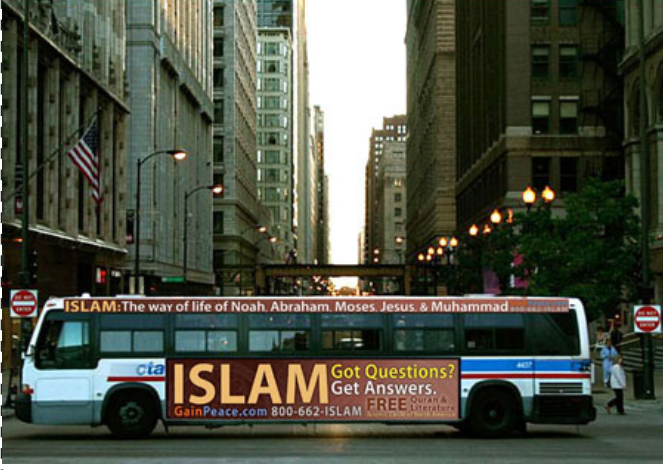
ووفقاً لهذه الوثائق ينادي السلطان أحمد الثالث الملك السويدي بـ(أسدي)، ويسأله: متى يرى كارل الثاني عشر مهاجمة بوتر الكبير الروسي. وكانت والدته أحمد الثالث السلطنة فالية غالباً ما تستقبل كارل الثاني عشر ضيفاً في بيته بحضور طبيب برتغالي يهودي وزوجته. وكان كارل الثاني عشر قد أصيب في معركة (Paltova) برصاصة، وعانى من جراء ذلك من ارتفاع متكرر في الحرارة، وتلقى العلاج في الإمبراطورية العثمانية. وحينما وُضع كارل الثاني عشر -بشكل أو بآخر- تحت الإقامة الجبرية في أدرينوبيل بسبب مكائده السياسية، منع السلطان أحمد الثالث أن يتعرض له أحد بقتله، ويُنقل عن السلطان أحمد قوله: «ينبغي إكرام الضيف حتى وإن كان كافراً».

إن إقامة كارل الثاني عشر الطويلة لمدة ٦ سنوات في الإمبراطورية العثمانية لتؤكد على نفوذ الإمبراطورية العثمانية في السياسة الأوروبية، وتؤكد كذلك على تأثير الإمبراطورية العثمانية في الثقافة الأوروبية. وإنه لولا تدخل الإمبراطورية العثمانية العسكري والسياسي لكان تاريخ إسكندنافيا وأوروبا غير الآن □

بعض الطهاة العثمانيين أقاموا في فترات معينة في قصر الملك وأعدوا له الطعام الذي اعتاد على تناوله إلى حد كبير أثناء إقامته لدى العثمانيين. ويوجد في مكتبة رولنسون (rawlinson) في أكسفورد وثيقة تروي بدقة فترة إقامة كارل الثاني عشر ومشاهداته في الإمبراطورية العثمانية. وتتضمن الوثيقة أيضاً تفاصيل المشاكل التي نشأت في بندر حينما امتعض السكان في عام ١٧١٤م من تجهيزات كارل الثاني عشر للحرب ضد روسيا، وبسبب من مكائده وتدخلاته في الشؤون السياسية العثمانية قام السكان بإضرام النيران في منزله ليحملوه على الرحيل، حيث انتقل بعدها إلى الإقامة في أدرينوبيل (Adrianopol)، وعملياً فقد وضع تحت الإقامة الجبرية وطلب منه الرحيل إلى السويد. إلا أن الملك رفض الرحيل، وأصر بعناد على البقاء في سريره ما يقارب ١٠ أشهر، وطلب من السلطان أحمد الثالث تزويده بـ ٥٠ ألف جندي عثماني لاصطحابه إلى دياره، لكن طلب الملك لم يستجب، وغادر الإمبراطورية العثمانية في عام ١٧١٤م يحمل في جيبه كتاب حماية عثمانية، وعاد إلى دياره في السويد خلال ١٥ يوماً.

لقد حمل كارل الثاني عشر معه العديد من الفتاوى من الإمبراطورية العثمانية كنموذج للقيم الأخلاقية، وإرشادات عملية في الشؤون السياسية، وتضمنت إعلاناً للجهاد من قبل المفتي الأكبر قبيل إحدى الحملات العسكرية السويدية - العثمانية ضد الروس.

حملة «حرق القرآن» الكريـم في الولايات المتحدة!!



كشفت صحيفة «كريستيان ساينس مونيتور» الأميركية في ٧/٢٩ أن كبريات المدن بالولايات المتحدة تشهد حملة دعائية معادية للإسلام تتخذ حافلات المواصلات العامة وسيلة للهجوم على الإسلام. فقد بدأت جماعة تطلق على نفسها «أوقفوا أسلمة أميركا» بالصاق إعلانات دعائية في حافلات نقل الركاب العامة في المدن

الكبرى تحث فيها المسلمين على الردة عن دينهم. ومن هذه الشعارات: «هل أنت مستعد لتحمل فتوى ضدك؟» و«هل أسرتك أو جماعتك تهددك؟» و«هل تركت الإسلام؟».

وفي تأكيد متصاعد على موجة العداء المتصاعدة في أميركا ضد الإسلام أعلنت كنيسة دوف التبشيرية في ولاية فلوريدا في ٢٥/٨/٢٠١٠م أنها ستتنظم حملة لحرق القرآن الكريم في ذكرى إحياء هجمات ١١ سبتمبر وأسمته «اليوم الدولي لحرق القرآن» وأعلن القس المشرف على الحملة تيري جونز أن «الإسلام ليس ديناً سماوياً، بل هو من نتاج الشيطان، وإن المؤمنين به سيذهبون إلى



النار، وهو يتسبب بدفع مليارات البشر إلى جهنم، إنه دين مخادع وعنيف». وجاء في بيان للكنيسة أن «جناح اليمين المتطرف» وهي منظمة مسيحية مسلحة ستتولى حماية الكنيسة أثناء مراسم الحرق. وقال القس إنه سيقوم ما بين ٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ من عناصر الميليشيا المدنية المسلحة بحماية مقر الكنيسة في ١١ سبتمبر.

بعد أن قامت ضجة إعلامية عالمية ضد هذا القس، وهدد العالم الإسلامي برد مدو، وبعدما مورست ضغوطات هائلة عليه من قبل دولته بأن من شأن ذلك أن يؤدي إلى قتل الجنود الأميركيين في باكستان وأفغانستان... تراجع هذا القس وأعلن إلغاء هذه الحملة وأنه لن يحرق القرآن أبداً، من غير أن يعرف حقيقة السبب الذي جعله يتراجع، هل هو كشف مستمسك ما يفضحه. ذلك أن الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية أصبحت مثقلة بالفضائح الجنسية التي تتناولها وسائل الإعلام

من المعروف أن الفضائح الجنسية لم تقتصر على كنائس أوروبا والولايات المتحدة فقط، وإنما طالبت

أروقة الكنيسة الأم ذاتها حيث كشفت قناة «راي ٢٤» التلفزيونية الإيطالية مؤخراً أن الفاتيكان يواجه أزمة داخلية منذ سنوات على خلفية تورط عدد من رجال الكنيسة في جرائم اغتصاب لعشرات الأطفال والقصر، ومن أبرزهم القس جاميلي المقرب من بابا الفاتيكان والمعروف عنه نشاطاته التبشيرية حيث يشرف على ٢٦٧ جمعية تبشيرية في العالم.

وفي السياق نفسه، كشفت صحيفة «لاريبليكا» الإيطالية أن الاعتداءات الجنسية والتي تورط فيها حوالي ٤٠٠٠ كاهن وقسيس وكاردينال لم تعد تقتصر على الأطفال والقصر من النساء فقط بل شملت أيضاً الراهبات، حيث قام بعض القساوسة والأساقفة في الكنائس الكاثوليكية بالاعتداء الجنسي على الراهبات واغتصابهن وإجبارهن بعد ذلك على الإجهاض لمنع الفضيحة. وشمل ذلك ٢٣ دولة منها: الولايات المتحدة والبرازيل والفلبين والهند وإيطاليا وحتى داخل «الفاتيكان» نفسه. ومن الطبيعي أن يكون ما لم ينقل أعظم.

فيلدرز: تطاول جديد على الإسلام

أثار السياسي الهولندي اليميني خيرت فيلدرز حالة من الجدل مرة أخرى، بسبب تصريحات جديدة له ضد الإسلام، حيث وصف فيها الثقافة الإسلامية بـ«المتخلفة»، وقال إن «ثقافتنا التي قامت على أسس المسيحية واليهودية والإنسانية لا تتناسب مع الثقافة الإسلامية المتخلفة». وذكرت صحيفة «دي فولكسكرانت» اليومية الهولندية في ٨/٣٠، أن فيلدرز قال في تصريحات للتلفزيون الأسترالي إن الإسلام لا يمكن مقارنته بالمسيحية، ووصفه بأنه «أيديولوجية متسمة بالعنف مثل الشيوعية والفاشية». وقالت الصحيفة: «طالب فيلدرز المعروف بعداؤه للإسلام، بوقف الهجرة إلى الدول الغربية من جميع الدول التي تقطنها أغلبية مسلمة». وكان حزب فيلدرز حزب «من أجل الحرية» قد فاز في الانتخابات البرلمانية التي أجريت في ٩ يونيو (حزيران) الماضي بـ٢٤ من إجمالي ١٥٠ مقعداً ليصبح بذلك ثالث قوة سياسية في البلاد. (الشرق الأوسط، ٨/٣١).

التصوف هو الحل الأممي لمواجعة عودة الإسلام إلى الحكم

نشرت صحيفة «الدستور» الأردنية في ٣/٨ الخبر التالي: في الوقت الذي كان فيه شيخ الطرق الصوفية يبرم اتفاقاً مع الحكومة ممثلة في مؤسسة الأهرام لمواجهة المد السلفي والفكر الإخواني، قام ١٦ شيخاً من شيوخ الطرق الصوفية، على رأسهم الشيخ علاء أبو العزايم بعقد اجتماع مع سكرتير السفارة الأميركية ممثلاً للإدارة الأميركية في مقر الطريقة العزمية بمنطقة السيدة زينب. استمر الاجتماع لمدة ساعتين، وحضره ممثل لجهاز مباحث أمن الدولة خلال اللقاء تمت مناقشة التنسيق بين شيوخ الصوفية في مصر وبين الإدارة الأميركية لنشر الإسلام الصوفي المعتدل بين المسلمين الأميركيين، اتفق الشيخ مع ممثل السفارة الأميركية على أن تستضيف الإدارة الأميركية على نفقتها (١) شيوخ الصوفية، كما اتفقوا معه، وإقامة فاعليات وأنشطة مكثفة لنشر الإسلام الصوفي بين مسلمي أميركا، وعلى تبادل الزيارات بين الطرفين.

كما تم الاتفاق على اختيار الشيخ علاء أبو العزايم كمنسق بين الصوفية في مصر وبين الإدارة

أخبار المسلمين في العالم

الأميركية. وقال الشيخ محمد عبد المجيد الشرنوبى (الذي لم يذكر الخبر صفته) أن ممثل الإدارة الأميركية طلب استمرار اللقاءات والتنسيق بين الجانبين. وأكد على أن نموذج الإسلام الصوفي يمثل الإسلام المقبول والمرحب به في أميركا، لكونه إسلاماً وسطياً ومعتدلاً. وكان الشيخ علاء أبو العزائم -شيخ مشايخ الطرق الصوفية- استضاف اللقاء، وأكد فيه على متانة العلاقة بين الصوفية والشعب الأميركي.

قبل ثلاث سنوات أصدرت مؤسسة «راند» الأميركية تقريراً عن الحالة الإسلامية دعت فيه إلى توجيه الاهتمام إلى الطرق الصوفية المخاضمة للسياسة وتشجيعها، باعتبارها نموذجاً لما اعتبرته إسلاماً معتدلاً. وقد شهد العالم الإسلامي خلال فترة ما سمي بالحرب على الإرهاب تشجيعاً للتصوف، بدا واضحاً في مصر وأكثر وضوحاً في دول المغرب العربي التي تعددت فيها مؤتمرات الصوفية خلال السنوات الأخيرة. ويعد وزير الأوقاف في المملكة المغربية من الناشطين في ذلك المجال. وهو من أطلق مصطلح «الأمن الروحي» في سياق حثه على نشر التصوف في بلاده.

على أن ذلك كله ليس جديداً، فقد سبق الجميع في هذا المضمار اللورد كرومر المعتمد البريطاني لدى مصر بعد احتلالها في ثمانينات القرن التاسع عشر، الذي كان أول من أسس مجلساً أعلى للطرق الصوفية، واختار لرئاسته من سماء شيخ مشايخ الطرق.

تدخل السفراء في الشؤون الداخلية

دعا السفير الأميركي في موريتانيا مارك بولوير العلماء الموريتانيين إلى الانفتاح على المجتمع الأميركي وتبادل الزيارات بغية إقامة روابط بين المجتمع الموريتاني المسلم والمجتمع الأميركي. وقال بولوير في حفل إفطار أقامه بمقر السفارة، إن المجتمع الأميركي "مجتمع منفتح على الإسلام وإن كان بحاجة إلى تعميق معرفته بهذا الدين". وأوضح أن شهر رمضان المبارك "يعتبر لحظة مناسبة للأميركيين لاستحضار كل المفاهيم المشتركة مع العالم الإسلامي، والاعتراف بمساهمة الأميركيين المسلمين في بناء الولايات المتحدة الأميركية، كما يشمل ذلك الأميركيين من أصل موريتاني والذين وصل عددهم إلى الآلاف". وأشار إلى أن عدد المسلمين اليوم في أميركا يفوق السبعة ملايين نسمة، وأن عدد المساجد والمراكز الإسلامية يقارب ١٢٠٠، وأن عدد الأطباء المسلمين في أميركا يتجاوز ١٠٠٠٠ طبيب "مما يؤكد وجود جالية إسلامية فاعلة في المجتمع الأميركي". (الدستور الأردنية، ٨/٣١).

أنقرة تبلغ واشنطن التزامها «صداقة» (إسرائيل)

أكد مسؤولون أتراك، التزام أنقرة الحفاظ على علاقات صداقة مع (إسرائيل)، رغم التوتر المستمر إثر العدوان (الإسرائيلي) على «أسطول الحرية». ونقلت وكالة «الأناضول» عن دبلوماسيين أتراك في واشنطن قولهم إن وفد وزارة الخارجية التركية، برئاسة مساعد وزير الخارجية فريدون سينيرل أوغلو، أبلغ المسؤولين الأميركيين في لقاءات جرت مؤخراً في واشنطن أن حادثة الأسطول وقعت «بين صديقين». وأوضح الوفد أن «الحادث لا علاقة له بالعلاقات التركية مع إسرائيل أو اليهود بل مع الحكومة الإسرائيلية». وأشاروا إلى أنه «إذا استجابت إسرائيل للمطلب التركي بالاعتذار عن

الحادث والتعويض فإن الأمور ستبدأ بعدها بالتحسّن، إلا أن إسرائيل لم تتخذ هذا الموقف بعد». (يو بي أي، ٨/٢٧).

الوعمي: أين المراهنين على الدور التركي؟ وأين من طبلوا وزمّروا لأجل خطاب ناري ألهم الغرائز؟

تركيّا وإسرائيل: رغم الخطاب العدائي الصفقات مستمرة

تتسلم تركيا الدفعة الأخيرة من طائرات الرصد (الإسرائيلية) بدون طيار من طراز (هيرون) في بداية آب الحالي، ومن المقرر أن تتسلم تركيا بحسب اتفاق سابق ٤ طائرات تمثل الدفعة الأخيرة من إجمالي ١٠ طائرات وقعت تركيا على اتفاقية مع (إسرائيل) عام ٢٠٠٥م لشرائها بقيمة ١٨٣ مليون دولار لاستخدامها في رصد تحركات عناصر منظمة حزب العمال الكردستاني الانفصالية في شمال العراق. وكانت تركيا قد تسلمت ٦ طائرات من الصفقة في شباط/ فبراير الماضي بعد تأخر إسرائيل في تسليمها لأكثر من عامين، وقام وفد عسكري فني في أيار/ مايو الماضي بإجراء الاختبارات النهائية على الطائرات الأربع في تل أبيب، تمهيداً لاستلامها ودخولها الخدمة في تركيا. ونجحت تركيا، بشكل مواز في تصنيع طائرات بدون طيار أطلقت عليها اسم "إنكا" يبلغ طولها متر واحد، وتتمتع بالقدرة على الوصول إلى أهدافها في الأودية العميقة نظراً لصغر حجمها، كما أن لها القدرة على التقاط صور لأهداف المنظمة الانفصالية ونقلها فوراً إلى مراكز المعلومات التابعة للقوات المسلحة.

أرشفيف اليهود: جرائم وتجسس ومؤامرات!

قررت السلطات (الإسرائيلية) تمديد سريان فترة حظر الاطلاع على الأرشفيف الحكومي ٢٠ عاماً، لتصبح ٧٠ عاماً، على ما أفاد مصدر حكومي، وتتعلق الوثائق التي يشملها القرار بشكل رئيسي بالجيش وأجهزة الاستخبارات خلال أول عقدين من عمر دولة (إسرائيل) التي أنشئت في العام ١٩٤٨م، وقال مدير الأرشفيف الوطني لفرائس برس: سيستمر مفعول السرية على هذه الوثائق من الأرشفيف سارياً خشية انتهاك خصوصية الأشخاص المذكورين فيها أو أقربائهم. وأضاف: علينا أيضاً الحفاظ على سرية المعلومات المتعلقة بأمن الدولة مع الأخذ في الاعتبار المخاطرة التي قد تتخذها (إسرائيل) من خلال إمكان اتهامها بانتهاك القانون الدولي. وتشمل هذه الوثائق على وجه الخصوص الحرب على مصر عام ١٩٥٦م التي شنتها إسرائيل بالتنسيق مع فرنسا وبريطانيا، إضافة إلى قضايا تجسس ووثائق تعود إلى بداية البرنامج النووي (الإسرائيلي). وأشارت صحيفة هآرتس إلى أن رئيس الوزراء بنيامين نتياهو قرر قبل أسبوعين تمديد سريان السرية على الأرشفيف بعد ضغوط مارستها أجهزة الاستخبارات. (أ ف ب، ٧/٢٩).

الوعمي: التمديد يشير إلى حجم الإجرام اليهودي بحق المسلمين وعمق التآمر. فهي وثائق الفضائح...

واشنطن تمول حملة سلام!

ذكرت صحيفة «يديعوت أحرونوت» اليهودية في ٨/٢٩ أن الإدارة الأميركية مولت حملة إعلانات فلسطينية داخل الكيان (الإسرائيلي) يظهر فيها مسؤولون فلسطينيون تحت شعار «نحن شركاء... ماذا عنكم؟».

وتتخذ هذه الحملة شكل لوحات إعلانية ضخمة لكل من الرئيس محمود عباس، ورئيس دائرة شؤون المفاوضات صائب عريقات، وياسر عبد ربه، ورياض المالكي، وتستهدف توجيه رسالة لـ(الإسرائيليين) بأن القيادة الفلسطينية معنية بإيجاد شريك لتحقيق السلام. وأوضحت الصحيفة أن وكالة التنمية الدولية الأميركية («يو أس أيد») تمويل هذه الحملة بنحو ٢٥٠ ألف دولار. (يوي بي أي - ٨/٣٠).

تحريك اللواء القذر

أثار سحب لواء «الحرب داخل المدن» في الجيش (الإسرائيلي)، من الخدمة في الضفة الغربية، ونقله إلى الحدود الشمالية مع لبنان، تساؤلات لدى المراقبين (الإسرائيليين) إن كانت تلك من علامات الإعداد للحرب القادمة. وقالت صحيفة «معاريف»، في ٨/٣٠ إن قائد لواء المنطقة الوسطى، آفي مزارحي، سمع يقول إنه يجب نشر هذا اللواء على الحدود الشمالية ليتدرب هناك على الحرب الكبرى القادمة من الشمال. وإن لواء «كفير» (هكذا يسمى اللواء المختص بالحرب داخل المدن)، سينقل بعد موافقة رئيس الأركان غابي أشكنازي إلى الشمال حتى يتاح له إجراء التدريبات اللازمة على هذه المنطقة المختلفة عن منطقة الضفة الغربية.. جنود هذا اللواء خدموا فقط في الضفة ولم يغادروها خلال خدمتهم. ويعتبر أكبر ألوية الجيش (الإسرائيلي). ويشتمل على سرايا مشهورة في شدة قمعها للفلسطينيين، وطاولته العديد من الفضائح، مثل التتكيل بمدينة فلسطينيين، والتقاط الصور للجنود والمجنندات مع معتقلين فلسطينيين مكبلين أو معصوبي الأعين، واستخدامه لفلسطينيين دروعاً بشرية، وقتل معتقلين فلسطينيين من دون محاكمة. وهم الذين نفذوا ٧٠٪ من الاعتقالات في الضفة الغربية. وهو أكبر مصدر لتخريج المرشحين للعمل القيادي. وقام هذا اللواء القذر بمباشرة تدريبات على احتلال بلدات لبنانية وسورية. وحسب القرار الجديد سينتشرون على طول الحدود اللبنانية، وستكون لهم قاعدة في هضبة الجولان السورية المحتلة. وسيتولى «حرب المدن».

محاولة طرد السفير (الإسرائيلي): التطبيع مع يهود في مصر بالقوة والإكراه

تعرض السفير (الإسرائيلي) في مصر إسحاق ليفانون لمحاولة طرد من مطعم شهير في منطقة المعادي في القاهرة. وذكرت وسائل الإعلام المصرية أن مدير المطعم فوجئ بأربعة أشخاص تبدو عليهم الملامح الأوروبية يجلسون على طاولة في المطعم وحولهم ستة حراس، وعندما استفسر من أحد أفراد الحراسة عن شخصية الضيف أوضح له أنه السفير (الإسرائيلي) في القاهرة وبرفقته زوجته وصديقتها وزوجها، فطلب من رئيس طاقم الحراسة إبلاغ السفير بالمغادرة فوراً منعاً للإحراج، وقد ثار السفير ورفض المغادرة، فأبدى العاملون والرواد استعدادهم لإلقائه بالقوة خارج المطعم، فقام ليفانون باستدعاء شرطة النجدة، وقبل وصول النجدة إلى المطعم، كانت قوة من المباحث قد وصلت وضغطت على مدير

المطعم للعدول عن قراره تجنباً للمشاكل. وأشارت وسائل الإعلام إلى أن حالة من الاستياء تسود لدى مسؤولي وزارة الخارجية (الإسرائيلية) بعد تلقيهم تقريراً من السفير عن تعرضه لمحاولة الطرد. (الرأي القطرية ٧/٢٧).

أميركا متهمة بإعاقة تشكيل الحكومة العراقية

اتهم هادي العامري الأمين العام لمنظمة بدر واشنطن بإعاقة تشكيل حكومة عراقية جديدة بإصرارها على أن تشكل الكتلتان الرئيسيتان الفائزتان في الانتخابات ائتلاًفاً حكومياً مما يتيح لجيران العراق التدخل في شؤونه حسب قوله. وأشار العامري النائب العراقي الذي يتزعم منظمة بدر الجناح المسلح السابق للمجلس الأعلى الإسلامي العراقي في مقابلة مع «رويترز» في ٢٠/٧/٢٠١٠م إلى أن «الولايات المتحدة تضغط على القادة العراقيين لتشكيل حكومة من الكتلتين الرئيسيتين اللتين يتزعمهما رئيس الوزراء نوري المالكي ورئيس الوزراء السابق إياد علاوي». وقال العامري: «الأميركيون يعتقدون أن أفضل تحالف هو بين (ائتلاف) دولة القانون وبين (القائمة) العراقية، وأن يكون رئيس الوزراء المالكي ورئيس المجلس السياسي للأمن الوطني علاوي، وبهذه الطريقة يمكن إبعاد المتطرفين من الصدرية والبدرية وغير ذلك». وأضاف: «اليوم الذي يقف في وجه (تشكيل الحكومة) هم الأميركيون وليس غيرهم، لا السعودية، ولا السوريين، ولا الإيرانيين. يأتي التدخل الإقليمي عندما يحصل إصرار على المشروع الأميركي». (رويترز، ٧/٣٠).

جرائم الحرب الأميركية في العراق!

أدى القصف الأميركي للفلوجة عام ٢٠٠٤م إلى وفيات في الأطفال: وإصابات بالسرطان واللويميا تفوق ما خلفته القنبلة الذرية في مدينتي هيروشيما وناجازاكي اليابانيتين اللتين أُلقيت عليهما عام ١٩٤٥م أثناء الحرب العالمية الثانية. وبحسب تقرير نشرته "الإنديبندنت" البريطانية فإن الأطباء العراقيين في الفلوجة اشتكوا من كثرة حالات الوفاة بين المولودين حديثاً ومن تزايد حالات التشوه والعيوب الخلقية بين المواليد، تفاوتت بين ولادة فتاة برأسين، إلى شلل في الأطراف السفلى، وأكدوا أنهم عالجوا حالات سرطان أكثر بعد معركة الفلوجة بين القوات الأميركية والمتمردين. وأكدت دراسة أجريت في مدينة الفلوجة أن حالات السرطان بين الأطفال حتى سن الرابعة عشرة تفوق مثيلتها في الأردن بأربعة أضعاف وفي الكويت بثمانية أضعاف. ورغم أن الطبيب كريس باسبي من جامعة أولستر المشرف على الدراسة التي شملت ٤٨٠٠ فرد في الفلوجة قال: إنه لا يستطيع أن يحدد السبب الحقيقي وراء حالات السرطان والتشوهات الخلقية، إلا أنه أكد أن "مثل تلك النتيجة تنجم عن تعرض كبير لمؤثرات وقعت لدى الهجوم عام ٢٠٠٤م". وأضاف باسبي: أن مدى التغير الجيني الذي يعاني منه سكان المدينة يشير إلى استخدام الفوسفور الأبيض. وقال "أعتقد أن الأميركيين استخدموا سلاحاً جديداً ضد المباني لتخترق الجدران وتقتل من بداخلها". (الوطن السعودية، ٧/٣٠).

جيش عراقي بلا مخالب!

كشف الناطق الرسمي باسم الحكومة العراقية المنتهية ولايتها علي الدباغ أن الولايات المتحدة أهدت إلى العراق معدات عسكرية بنحو ٩٠٠ مليون دولار، وقال في مقابلة مع "النهار" عشية الانسحاب

أخبار المسلمين في العالم

الجزئي للقوات الأميركية من العراق: "إننا لانريد قوات لها مخالب كبيرة، بل نريد لها أن تكون قادرة على حماية سيادة بلدنا" (يقصد للقمع الداخلي فقط)، والدباغ عضو في "ائتلاف دولة القانون" الذي يتزعمه رئيس الوزراء نوري المالكي، وقال أيضاً: أخشى على الوضع الأمني من التدهور نتيجة التناحر والتجاذب السياسي وعدم الانسجام، وأميركا أعطتنا معدات بنحو ٩٠٠ مليون دولار مجاناً.(مقابلة مع النهار اللبنانية، ٨/١٢).

الجيش العراقي حذر من انسحاب الاحتلال

أقر رئيس أركان الجيش العراقي بابكر زبياري في ٨/١٢ بأن الجيش العراقي لن يكون قادراً تماماً على تولي الملف الأمني قبل ٢٠٢٠م وأكد أنه سيكون بحاجة للدعم الأميركي حتى ذلك الحين، قال كلامه هذا في مؤتمر عقد لتقييم جاهزية القوات الأمنية لحماية البلاد بعد انسحاب القوات الأميركية، وحول انسحاب القوات الأميركية يرى زبياري أن على السياسيين تأمين أساليب أخرى لتعويض الفراغ ما بعد ٢٠١١م، لأن الجيش لن يتكامل قبل عام ٢٠٢٠م. وقال: لو سئلت عن الانسحاب لقلت للسياسيين يجب أن يبقى الجيش الأميركي حتى تكامل الجيش العراقي عام ٢٠٢٠م. وتابع زبياري: الآن، أنا مطمئن جداً لقدرة القوات العراقية مجتمعة (الجيش والشرطة)، على تأمين الملف الأمني لأنه لاتزال قوات أميركية موجودة، لكن المشكلة تبدأ بعد ٢٠١١م موعد الانسحاب الكامل للقوات الأميركية. وبدوره، أقر وزير الدفاع العراقي عبد القادر العبيدي بوجود خلل في أداء قواته، وأكد الحاجة إلى وقت طويل جداً (لأي) جيش للوصول من الصفر إلى نسبة تصل إلى ٨٥ بالمئة من تكامل قدراته (أ. فب- ٨/١٢).

أفغانستان: توقع المزيد من القتلى الأتلسيين

توقع الأمين العام للحلف الأطلسي أنديرس راسموسن تزايد وتيرة معارك القوات الدولية ضد حركة طالبان في أفغانستان في الأسابيع والأشهر المقبلة وذلك في حديث بثته قناة "تي في ٢ نيوز" الدنماركية مساء الاثنين. وقال: "أشارك وجهات نظر مسؤولين عسكريين أميركيين حول تزايد وتيرة المعارك في الأسابيع والأشهر المقبلة". وأضاف "نحن في مرحلة حاسمة الآن. لقد أرسلنا المزيد من الجنود إلى أفغانستان حيث نهجم معاقل لطالبان وهذا معناه تزايد المعارك والخسائر مع الأسف". وقال إن تصعيد المعارك "جزء من استراتيجية" القوات الدولية لطرد مقاتلي طالبان من المعازل التي يحتلونها حتى الآن في ولايتي هلمند وقندهار" في الجنوب. وخلال أربعة أيام قتل ١٨ جندياً أجنبياً في أفغانستان بينهم ١٧ أميركياً ما يدل على أن حركة طالبان تكثف تمرداتها وتلحق خسائر متزايدة بالقوات الدولية. (العرب أون لاين، ٨/٢١).

كرزاي: حاكم نموذج في العمالة

واشنطن- قال مسؤولون أميركيون أن وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية «سي آي إي» تدفع سراً مبالغ لعدة أعضاء من إدارة الرئيس الأفغاني حامد كرزاي بغية الحفاظ على مصادر معلوماتها في حكومة غالباً ما يظهر أن الرئيس الأفغاني لا يحظى إلا بسيطرة بسيطة عليها. ونقلت صحيفة «واشنطن بوست» الأميركية عن أحد المسؤولين أن الدفوعات تمتد لفترات طويلة في بعض الحالات، وهي ترمي إلى

مساعدة الوكالة في الحفاظ على حلفاء داخل القصر الرئاسي. وأشار المسؤول إلى أن بعض مساعدي كرزاي يعملون مخبرين للـ«سي آي إي»، فيما يحصل البعض الآخر على رواتب على شكل تدبيرات غير رسمية الهدف منها ضمان الوصول إلى الداخل. وأكد المسؤولون أن الوكالة استمرت في دفع المبالغ بالرغم من المخاوف من أنها تدعم المسؤولين الفاسدين وتقوض الجهود لوقف اعتماد الأفغان على مصادر الدخل السرية. وقال المسؤول، طالباً عدم الكشف عن هويته، إن عدداً كبيراً من المسؤولين في إدارة كرزاي يقبضون الأموال سراً. يشار إلى أن هذه المعلومات تأتي بعدما ذكرت صحيفة «نيويورك تايمز» أن محمد ضيا صالح، أحد مساعدي كرزاي، المتورط بقضية فساد، يتلقى راتباً من وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية. «ومن جهة أخرى تدمر كرزاي من كون الولايات المتحدة لا تبذل الجهد الكافي لإجبار باكستان على التوقف عن دعم طالبان». (العرب أون لاين، ٢٧/٨).

البحث في ما بعد مبارك

كشف ثلاثة مسؤولين أميركيين عن قيام مجلس المخابرات القومي الأميركي والقيادة المركزية الأميركية بتكليف «محللين استخباراتيين برسم السيناريوهات المتوقعة لأوضاع مصر في مرحلة ما بعد رحيل مبارك»، حسبما نقلته عنهم صحيفة «واشنطن تايمز» الأميركية أمس. الصحيفة الأميركية أضافت أنه مع رفض مبارك اختيار نائب له، وهو الشخص الذي سيكون بالتالي صاحب الحظ الأوفر في خلافته، فإن التعديلات الدستورية الأخيرة التي أجريت عام ٢٠٠٥م بشأن شروط الترشح للرئاسة «تعزز من فرصة نجله جمال مبارك الذي يرأس لجنة السياسات بالحزب الوطني الديمقراطي». ومضت قائلة إنه «وفقاً للدوائر السياسية الأميركية، فإن هناك منافسين محتملين لجمال، إلا أنهم ليسوا أعضاء رسميين في الحزب الحاكم». وبتقرير «واشنطن تايمز» تتواصل التقارير الغربية حول صحة الرئيس رغم نشاطه المكثف الذي شمل لقاءات مع العديد من زعماء العالم مؤخراً. (العربية، ٢٠/٧).

يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم

من يصدق أن أميركا عادلة وتحب العدل وتموت عن بكرة أبيها دفاعاً عن العدل؟ مناسبة هذا السؤال ظهور غيرة مفاجئة لدى وزير العدل الأميركي تعادل الصلف والوقاحة، وقد نشرت الصحف عن هذا الوزير ما يلي: "أمل وزير العدل الأميركي أريك هولدر أن تجري السلطات المصرية تحقيقاً شفافاً في قضية مقتل شاب على يد عناصر من الشرطة في الإسكندرية، ما أثار استياءً كبيراً في مصر وردود فعل دولية. وأكد هولدر الذي زار القاهرة مؤخراً أنه تطرق مع المسؤولين المصريين إلى هذه القضية، التي بدأت على خلفيتها الثلاثاء محاكمة عنصرين من الشرطة أمام محكمة الجنايات في الإسكندرية. وقال هولدر للصحافيين نأمل أن تجري التحقيقات بكل شفافية، وأن يبنى على الشيء مقتضاه في حال تم كشف المتورطين في هذه المسألة. وأقر هولدر الذي التقى ناشطين إصلاحيين مصريين بأن لدى مصر نقصاً في مجال حقوق الإنسان، على الرغم من جهود بذلت في هذا المجال". (القاهرة، أ.ف.ب، ٢٩/٧).

الوعمي: لعل هذا الكاوبوي الأميركي لم يسمع بالشهداء المدنيين الذين يسقطون بالرصاص الأميركي عن طريق الخطأ والقذائف الجوية الخطأ من الطائرات بلا طيار في أفغانستان والعراق؟ إنهم لا يسقطون فرادى مثلما حصل مع الشباب المصري المظلوم، إنهم يسقطون بالجملة ولا تهتز شعرة في جسد وزير العدل الأميركي العادل جداً!!

الصحة الإسلامية حقيقة لا خيال

أبو لقمان السامي

لقد مضى على غياب الحكم بالإسلام تسعة وثمانون سنة هجرية، منذ سقوط الخلافة الإسلامية في إسطنبول، في ٢٨ رجب ١٣٤٢هـ، فأين أصبحت هذه القضية اليوم؟ وما هو حال الأمة الإسلامية منها؟ وأين قضية الإسلام والخلافة من الأمة، هل هي وراءها أم أنها أمامها؟

إن المراقب المنصف يرى أن حال الأمة الإسلامية قد تغير كثيراً، وذلك بظهور علامات بارزة على عودة الروح والحيوية للأمة أو ما يُعبر عنه بالصحة الإسلامية، بل أكثر من ذلك عندما صارت القضية الإسلامية، بكل تشعباتها، قضية سياسية دولية من الطراز الأول، ولا نبالغ إن قلنا إنها صارت القضية الدولية الأولى، سواء عند دول الاستعمار أميركا وأوروبا وتلحق بهم روسيا، أو عند باقي الدول التابعة في العالم.

فكيف وصلت الأمة اليوم إلى هذا الحال من النهوض والتطلع نحو استئناف حمل رسالتها؟ وما هي المراحل التي مرت بها؟

الكفر وأفكارها في أوساط الأمة مثل الاشتراكية والديمقراطية والشيوعية والبعثية والعلمانية وتحرير المرأة، حتى لم يعد يظهر أي أثر للإسلام وأفكاره في الحياة العامة فضلاً عن الحياة السياسية وشؤون الحكم. فقد تراجع الإسلام إلى داخل أسوار المساجد، وصار من شأن المشايخ وحدهم، وتم الترويج لمفهوم رجال الدين، كما هو عند اليهود والنصارى، وصار الفصل بين الدين والسياسة وبين الدين والحياة هو لسان حال المسلمين، حتى أصبحت الديمقراطية والرأسمالية هي المطبقة على المسلمين، وهي المهيمنة على مجتمعاتهم. وصارت العلمانية، وهي فصل الدين عن الحياة والحكم، هي التي تُسير حياتهم، سواء أكانوا من عامة المسلمين، أم

عندما هُدمت الخلافة، كانت الأمة في حالة من التمزق والتفرق بسبب دعوات القومية التي كان يغذيها الاستعمار، والذي تحول إلى حقيقة، سواء في العرب أم الترك، الأمر الذي مكّن للاستعمار الغربي في بلاد المسلمين، بواسطة تلك الحركات التي أصبح رموزها قادة وحكاماً. بل ورموزاً للمسلمين، أمثال الحسين بن علي شريف مكة، ومصطفى كمال الذي لقّب بـ(أتاتورك) أي أبو الترك، ومحمد علي جناح الذي لقّب بالقائد الأعظم.

أما عن الحالة الفكرية، فقد وصلت الأمة في تلك الفترة إلى أدنى درجات الثقة بالإسلام وأفكاره وأحكامه، الأمر الذي أفقدها الثقة بنفسها، كأمة عريقة صاحبة رسالة ربانية سامية، وهذا كله ساهم في انتشار دعوات



المساجد من عمارها، بل لم يعد هناك إقبالاً على تشييدها، وصار الدين شأن بعض كبار السن. وزهد الشباب في الدين، ولم يقبلوا على دراسته وتعلّمه، بل كانوا يقبلون على علوم الدنيا كالطب والهندسة، وعلوم الحضارة الغربية كالتربية والقانون، حتى صار الدين في الغالب هو شأن المساكين والعجزة، أو هكذا كان يُنظر إليهم.

وأما عن نتائج تلك الأوضاع على الأمة الإسلامية في تلك الفترة، فبغياض مفهوم الأمة الواحدة جرى التكيّل بشعوب المسلمين الواحدة تلو الأخرى، دون أن يحسّ أحدهم بالآخر، ففي الوقت الذي كان يُنكّل فيه القبارصة اليونان بالمسلمين الأتراك في قبرص، كان عبد الناصر والعرب يقفون في

كانوا من المشايخ وممن يتفقّهون في الدين، فقد رضي الجميع بذلك واطمأنوا إليه. وقد ساهمت هذه الأحوال أيضاً في تفاقم الأوضاع سوءاً، فصار يُنتَقَصُ تارة من الإسلام وتارة من المسلمين.

فجرى التشكيك بقدرة الإسلام على الحكم. وبصلاحيته للحياة الجديدة، وأدعي أنه لم يطبق إلا في بضع سنوات، في عهد النبوة وشيء من الخلافة الراشدة، وهوجمت أحكام الخلافة والجهاد والمرأة والحدود، وسرّت بين الناس دعاوى تقليد الغرب الكافر، بأنّه القدوة والمثل الذي يحتذى في كل شيء، حتى وصلت الثقة بالإسلام إلى أدنى مستوياتها، فانحسر أثر الإسلام في حياة الناس، بل وقّلّ الملتزمون بأحكامه وحتى بأركانها، وخلّت

صرع كل تلك القوى وتمزيقها، بل وجعلها عاراً وشناراً على أصحابها، وصفحة سوداء في عمر الأمة، وقد كان الرائد في كل هذا الإنجاز هو هذا الحزب المخلص الواعي.

لكن ما هي العلامات الظاهرة الدالة على هذا الصعود؟ وإلى أين وصلت الأمة في طريقها؟ هل هي في بدايته أم نهايته أم ماذا؟

لقد كانت عودة ثقة الأمة بالإسلام علامة ظاهرة مع هذا الحزب، وقد تمثل هذا منذ بداية إعلان دعوته، وفي التفاف الناس حولها وتقبلهم لأفكارها، بل وسيرهم معها في طريقها، وفي المقابل بدء تراجع كل تلك القوى الظلامية في الأمة من العملاء والمضبوعين، واهتزاز موقعهم وبدء سقوطهم بتخلي الناس عنهم، ولم يكد يمضي عقد من الزمان على بدء دعوة الخلافة حتى بدأت تلك الأفكار والقوى السياسية تتحضر، فغيرت جلدها وشعارها. حتى تضلل الناس عن حقيقتها، لكن كل ذلك لم يفدها ولم يؤخر في زوالها إلى غير رجعة، كل ذلك حدث لأن كوامن الخير في الأمة موجودة والحزب استطاع أن يبرزها. لذلك كان تجاوب الأمة مع الحزب إيجابياً.

أما العلامات المادية الظاهرة على بدء نهضة الأمة، فمنها محاولات دعوة الخلافة الوصول للحكم، وطرق أبوابه بقوة، في مصر والشام والعراق، ومنها تراجع شعارات القومية ورفع شعارات الإسلام، حتى خاضت مصر معركة عام ١٩٧٣م في رمضان، وباسم الله، وبالتكبير، ثم تتابعت العلامات الدالة على النهضة الإسلامية الجديدة، فصارت القيادة

صف اليونان ضد إخوانهم المسلمين. ومثلها عندما كان الاتحاد السوفياتي البائد، ينكل بالمسلمين في القوقاز وآسيا الوسطى، لم يكن أحد من المسلمين يلتفت لإخوانه ومعاناتهم، بل ينظر للشيوعيين على أنهم أنصار الشعوب المضطهدة. ومثلها ما كان يحصل من مذابح للمسلمين في الهند وفي كشمير، ولم يكن باقي إخوانهم من المسلمين يحسون بمصائبهم، بل ينظرون إلى نهرو على أنه قائد وزعيم ضد الاستعمار والإمبريالية الغربية.

هكذا كان حال الأمة في هبوط على كل صعيد، فمتى توقف هذا الهبوط وبدأ الصعود؟

لقد استمرت تلك الأوضاع في التدهور والتفاقم بعد هدم الخلافة ثلاثة عقود، حتى برزت في الأمة قيادة أبصرت طريقها، وحددت غايتها. وفهمت فكرتها ورسالتها، عند ذلك بدأت تعود للأمة ثقتها بنفسها وبرسالتها، وتخلع من عنقها دعاوى الجاهلية من قومية ووطنية، وصارت تلقي أرضاً دعاوى الكفر من اشتراكية وشيوعية وديمقراطية.

لقد كان ظهور حزب التحرير هو من أبرز معالم هذه المرحلة، وكان من أبرز صفات هذه المرحلة هو ذلك الصراع الفكري الجبار، والكفاح السياسي المرير، الذي خاضه منذ بداية طريقه عام ١٩٥٣م ضد كل تلك الأفكار الدخيلة والقوى السياسية العميلة والأجنبية على السواء، ما يجعلنا نؤكد بكل يقين أن نقطة هبوط الأمة وصعودها قد بدأت منذ ذلك التاريخ، وكان من نتائجها المباشرة،

حياة الأمة، فصارَ الشعارُ الإسلاميُّ للحلِّ هو الذي يستهوي الملايين من الناس بل والشعوب الإسلامية عامة حتى امتلأَ الجوّ بهذه الشعارات، وصارت هي أملُ الأمة، وصارَ الدفاعُ عن رموزِ الإسلام قضيةً للمسلمين عامة، كما كان في قضية الحجاب ومحاربة فرنسا ودول أوروبا لها، وكما كان في قضية الرسوم البغيضة المسيئة للرسول الأكرم محمد ﷺ ومثلها ما كان من ردّة المسلمين القويّة على بابا روما وعدوانه على الإسلام ورسوله محمد ﷺ وكلّ هذه الأحداث وأمثالها كانت تؤكد حقيقة عودة ثقة المسلمين بإسلامهم وبرسالتهم وبأمتهم الكريمة كأمة إسلامية.

وأما عن مظاهر الصحة الإسلامية وعلامات النهضة الإسلامية في أوساط جماهير المسلمين، فهي ظاهرة وكثيرة، منها زيادة رواد المساجد بشكل واسع، سواء من الشباب والأطفال فضلاً عن الشيوخ. وانتشار الثقافة الإسلامية والإقبال الواسع عليها، حتى صارت هي الأكثر رواجاً من بين سائر العناوين خاصة في أوساط الشباب. وهذا الإقبال على الإسلام وثقافته والالتزام بأحكامه شمل الجميع، الرجال والنساء، الشباب والشابات، فانتشر وشاع اللباس الشرعي للمرأة، الخمار والجلباب، في المدن والأرياف والعواصم، في المدارس والجامعات، حتى صارت السمة الغالبة لطلبة الجامعات في كثير من بلاد المسلمين هي الشارة الإسلامية، سواء في كليات الطب والهندسة والصيدلة والعلوم... فضلاً عن كليات الشريعة.

التي تحمل شعار الإسلام في كلّ بلد هي التي تمثل مشاعر الغالبية العظمى من الناس، كما ظهر في إيران وأفغانستان والجزائر وفلسطين والأردن ولبنان وتركيا. حتى عاد مفهوم الأمة الإسلامية الواحدة حياً ماثلاً لكلّ ذي عينين. في كلّ قضايا الإسلام والمسلمين على السواء. فمُنذُ ثلاثة عقود، صارت القضايا الأفغانية والجزائرية والشيشانية، قضايا إسلامية. تتجاوب معها الأمة الإسلامية. وكان هذا التجاوب بارزاً ليس بالمشاعر فقط، بل بأعمال ظاهرة ملموسة تدلّ على تبني المسلمين لهذه القضايا، باعتبارها قضاياهم. كما ظهر ذلك في الجهاد الأفغاني ضدّ الروس، وفي الشيشان والبوسنة والهرسك، ثمّ الجهاد الأفغاني أيضاً ضدّ قوى الاستعمار الغربي الكافر الماكر المتمثل بدول أميركا وأوروبا المتمثل بدول حلف شمال الأطلسي.

وأما قضية بيت المقدس قضية فلسطين، فلم يعد يمكن للغرب والحكام على السواء السير بها وتصفيتها باعتبارها قضية فلسطينية، وصارت في كلّ يوم تفرّض إسلاميتها، على جميع المخادعين والخائنين، وذلك بتجاوب المسلمين الكبير معها واحتضانها وجعلها مركزاً تنبّه لهم، الأمر الذي صار كابوساً مرعباً، لأميركا والكفار والمنافقين، يهدّد مصالحهم ووجودهم، في بلاد المسلمين بأسرها، وأصبح هذا الخطر يحذر منه الجميع بشكل علني وواضح، سواء الأميركيون أم الأوروبيون أم حكام المسلمين.

ولم تكن قضايا الإسلام أقلّ شأنًا في

وصارَ التحذيرُ من خطره على الأوضاع الاستعمارية في بلاد المسلمين، هو الشغل الشاغل للكفار ودولهم، وساستهم ومفكرهم ومراكز الأبحاث والدراسات عندهم.

فدعوة الخلافة التي تصدرها حزب التحرير صارت أمل الأمة بأسرها، واستطلاعات الرأي ومراكز الأبحاث تؤكد هذا، حتى تجاوزت معها الملايين من كل شعوب المسلمين، وأصبح أنصارها في كل العالم، من الصين والهند وإندونيسيا حتى المغرب، وفي دول الغرب أوروبا وأميركا، وحتى في روسيا وأستراليا، واستطاعت هذه الدعوة بفضل الله، حشد أتباعها وأنصارها في مناسبات متكررة، وفي بلاد مختلفة، كلها تهتفُ بندا، الخلافة والنصرة وظهور الدين.

إن من يريد استقصاء مظاهر الصحة الإسلامية، وإحصاءها والوقوف عليها، لن تكفيه مقالة في بضع صفحات، ولا حتى مجلة أو كتاب، لكننا أشرنا إلى بعض مظاهرها وعناوينها البارزة، حتى يكون هذا بشرى بين يدي النصر والخلافة للعاملين لها، ثم هي من بعد دعوة للمسلمين عامة، للانضمام لركب الخلافة المبارك، حتى يكون لهم سهم في بناء صرح الإسلام العظيم، ويفوزوا بأجر العاملين الأولين من المهاجرين والأنصار، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

قال الله تعالى ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَ أَوْلَا وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

﴿١٠﴾ [الحديد ١٠] □

ثم زيادة بناء المساجد، بشكل كبير وواسع، حتى تضاعف عددها عدة مرات، حتى صارت الحكومات الظالمة في بلاد المسلمين، تضع القيود والعراقيل أمام بناء الناس المساجد، فضلاً عن محاربة المساجد القائمة، والتضييق عليها، وعدم الإنفاق عليها.

وأما شعيرة الحج والعمرة، فقد أصبحت موسماً عظيماً للمسلمين، للشباب قبل الكبار، بعد أن كانت مقتصرة على بعض الشيوخ، حتى بدأ الكفار والحكام على السواء، يكيّدون للحج ويضعون العراقيل أمام إقبال الشباب عليه، بدعوى كاذبة، وصارت شعيرة العمرة، طيلة الأشهر التي يسمح بها آل سعود، تضيف كل عام ملايين المسلمين، الذين يتشرفون بزيارة البيت الحرام ومسجد رسول الله محمد ﷺ.

ومن المظاهر الكبيرة على الصحة الإسلامية المباركة، المسلمون الذين يعيشون في بلاد الغرب. حتى أصبح التزامهم بالإسلام وانتماءهم للأمة الإسلامية يقض مضاجع الكفار، فأخذ الغرب يمنع الحجاب بل الجلباب والخمار، ويفرض قيمه الفاجرة على أبنائنا. ويضيق على المساجد، ويسخر من الإسلام والمسلمين.

فبعد أن كان المسلمون في الغرب يحملون حضارته إلى بلاد المسلمين. صاروا حملة دعوة للإسلام في قلب الغرب.

وأما عن الصحة الإسلامية السياسية، في مجال الحكم والدولة، فقد أصبح الإسلام السياسي هو القضية الدولية الأولى للغرب،

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد محمد حسين

رجل عرف الحق فقال به وصبر عليه

إعداد الأخت راضية المقدسية

الدكتوراه، وعمل مدرساً في كلية الآداب بالإسكندرية، واستمر في التدرج في وظائف التدريس حتى شغل وظيفة أستاذ، عمل في جامعتي ليبيا وببيروت، وكان آخر عهده يعمل في جامعة محمد بن سعود الإسلامية، حيث وافته المنية عام ١٤٠٢هـ الموافق ١٩٨٢م عن عمر يناهز السبعين عاماً، رحمه الله تعالى. بلغت كتبه المطبوعة أحد عشر كتاباً بالإضافة إلى كتب لازالت مخطوطة، وكتب طُبعت ووزعت ونفدت ولم تُعد طباعتها وهي كتب جديرة بالافتاء والقراءة، ومن أشهر كتبه:

- ١- الإسلام والحضارة الغربية.
- ٢- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر.
- ٣- حُصوننا مُهَدَّدة من داخلها: وهي مجموعة مقالات شهرية نُشرت في مجلة الأزهر المصرية ما بين عامي ١٣٧٧هـ - ١٣٧٨هـ.
- ٤- أزمة العصر: وهو عبارة عن ثلاثين مقالاً كُتبت لتُبث من إذاعة الرياض عام ١٣٩٧هـ.
- اشتهر الزمان الذي عاش فيه بزمان النهضة

في وقتٍ ندر فيه الواعون المخلصون برز في الأمة رجلٌ مفكرٌ واعٍ على ما حصل وما يحصل للفكر الإسلامي من هجمة خبيثة مُدْمِرة، استطاع أن يُشخص الواقع تشخيصاً دقيقاً، فتنبه إلى المفرضين الحاقدين على الإسلام والمسلمين، وأدرك اتجاهاتهم الهدامة للفكر الإسلامي وللغة العربية، فألف المؤلفات من كتب ومقالاتٍ إذاعية ومحاضراتٍ ألقيت في عدد من الجامعات والجمعيات، حاول من خلالها تبصير الناس على ما يُحَاك حولهم ويُدير لهم من هدم لدينهم ولوحدتهم، مُحذراً ممن تخفوا وراء ستارٍ مُهتِك مدعين حرصهم على الإسلام وأُمَّته ولغته العربية، داعين لتطويرها مُستخدمين ألفاظاً بَرَاقَة لينة لإخفاء حقيقة أهدافهم الماكرة.

إنه المفكر الإسلامي والناقد الأدبي الأستاذ الدكتور محمد حسين المولود في سوهاج إحدى مدن الصعيد المصري عام ١٩١٢م، حصل على شهادة الليسانس في اللغة العربية من الجامعة المصرية عام ١٩٣٧م، وعمل مُعيداً فيها ثم حصل على شهادتي الماجستير ثم

كان مُصابي هذا في نفسي وفي تفكيري مما جعلني أقوى الناس إحساساً بالكارثة التي يتردى فيها ضحايا هؤلاء المفسدين، وأشدّهم رغبة في إنقاذهم منها بالكشف عما خفي من أساليب الهدّامين وشراكمهم».

لهذا نجده يذكر طه حسين في كثير من المواقع في كتابه، ففي حديثه عن (الكتب المترجمة) يقول: «لكنّ اللّجنة التّقافية في جامعة الدّول العربيّة، وعلى رأسها طه حسين الذي تشهد كتبه أنّه لم يكن إلا بوقاً من أبواق الغرب وواحدًا من عملائه الذين أقامهم على حراسة السّجن الكبير يروّج لثقافته ويعظّمها ويؤلف قلوب العبيد ليجمعهم على عبادة جلادهم».

وفي عرضه لكتابين كنموذجين من السّموم الّتي تُدس على العرب باسم جامعة الدّول العربيّة، أحدهم: ما استوحت به السفارة الأميركيّة لترجمته وهو (مختارات من إمّرسون)، والآخر: الّذي أوّست به اليونسكو وهو (قصة الحضارة) للكاتب ولّ ديورانت، يبيّن أنّ الجامعة في الحقيقة تكون قد لجأت إلى اليهودية العالميّة الهدّامة في الحالين لتختار لها أشدّ الكتب فتكاً بالدين والأخلاق، وتدميراً للفكر وتسميماً ليناابيع الثّقافة. ففي حديثه عن الكتاب الأوّل يخلص إلى القول بأنّ الكاتب (إمّرسون) يُظهر صورةً خدّاعة للإيمان، وأنّه هدّامٌ محترف يُفسد عن وعي وقصد، فهو يريد ثورة تقلب موازين الدّين والخلق وكلّ شيء:

الأدبيّة الحديثة -كما سُمّيت- وقد ظهر في هذا الزّمن أناسٌ مضبوعون بالغرب الأوروبي وصناعاته وثقافته، داعون إلى تقليد أوروبا في كلّ شيء، وقد برز من بين هؤلاء (طه حسين) الّذي لُقّب بعميد الأدب العربي، وكان أحد أساتذة الأديب محمد محمد حسين، ما جعله يتأثّر به ويمشي في ركابه دون أن يدري حقيقة مراميه الخبيثة، وقد ظهرت شدّة إعجابه به في رسالته (الدّكتوراه) والّتي كانت بعنوان "الهجاء والهجاؤون".

وبفضل من الله تعالى عليه الذي أنار له عقله وفكره، أدرك أنّ أستاذه قد انحرف عن الطّريق السّوي السّليم وسار في ركب الغرب الكافر المُلحد، فإنّه بعد أن بدأ حياته ودراسته في الأزهر وحفظ كتاب الله سافر مبعوثاً إلى فرنسا، وعندما عاد إلى مصر عاد بغير العقل والفكر الذي ذهب به.

وبسبب إدراك هذا الأديب المخلص لمسؤولياته تجاه أمّته وضع نُصبَ عينيه أن يعمل ضدّ هذا التّيار فيفضحه وزملاءه في الدّرب وينبّه الأمّة إلى أخطارهم، يقول في مقدّمة كتابه "حُصوننا مُهدّدة من داخلها: «كتبتُ هذه الصّفحات حين كتبتها لكي أفضح هذا النّفر من المفسدين، وأنبه إلى ما انكشف لي من أهدافهم وأساليبهم الّتي خدعتُ بها أنا نفسي حيناً من الزّمان مع المخدوعين، أسأل الله أن يغفر لي فيه ما سبق من اللّسان والقلم، وإن مدّ الله في عمري رجوت أن أصلح بعض ما أفسدتُ مما أصبح الآن في أيدي القراء»، ويقول: «وقد

لنا أنّ الكاتب (ول ديورانت) يتساءل إن كان المسيح عليه السلام قد وُجد حقاً، ويشكك في نسبه وفي أنّه وُلد من عذراء، وينكر كل معجزاته فينسبها جميعاً إلى الكذب والتلفيق، أو يردّها إلى خداع الحواس والوهم أو ما سمّاه (العلاج النفسي).

ثمّ يسرد أقاويل عن سيّدنا محمد ﷺ بألفاظٍ خدّاعة تحوي داخلها أباطيل، متظاهراً بالإعجاب بشخص النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام ويدسّ القصص الشّنيعة بأسلوبٍ خفيّ فيعطيه وصف المصلح لا وصف النّبيّ، وبذلك يخدع ضعاف المسلمين حين يرون الكاتب -وهو غير مسلم- يبدي ميلاً مصطنعاً إلى إنصاف نبيّ لا يدين هو بدينه، ومن الأمثلة على ذلك:

١- يقول: «وكان محمد كما كان كل داع ناجح في دعوته... وحتى شؤون الحياة العادية كانت أوامره فيها تُعرض في بعض الأحيان كأنّها موحى بها من عند الله».

٢- بعد أن يصف النّبيّ ﷺ بأنّ صوته موسيقي حلو يأسر القلوب، مرهف الحس، لا يطبق الروائح الكريهة، ينتقل بهدوء إلى وصفه بالقلق، عصبي المزاج يرى أحياناً كاسف البال، ثمّ ينقلب فجأةً مرحاً كثير الحديث... فهنا يصفه بالمتصابي والعصبي المزاج، والمريض الأعصاب.

٣- بعد وصفه إيّاه بالنّشاط والصّحة وأداء الواجبات يكمل بخبث فيقول: «ولكنّه أخذ يضعف حين بلغ التاسعة والخمسين من عمره، وظنّ أنّ يهود خيبر قد دسّوا السمّ في اللحم قبل

١- يستدرج إمرسون السّدج من القرّاء وضعاف الإيمان بالثناء على موسى وعيسى عليهما السلام، ولكنّه يزعم لهم أنّ الدّين يتجدد دائماً، وأنّ الأنبياء كانوا ولا يزالون.

٢- يعتبر الوحي ظاهرة مألوفة تتكرر في كل زمان ومكان وذلك حين يقول: «ومن واجبي أن أقول لكم إن الحاجة إلى إلهام جديد لم تكن في أي وقت من الأوقات أشدّ مما هي الآن».

٣- يُقرن رسالات الأنبياء بآراء الفلاسفة والكتّاب وأصحاب المذاهب الضّالة الفاسدة في بعض الأحيان، فهي في زعمه ليست منزلة من عند الله ولكنها نابعة من عقولهم بعد أن تحرروا من أسر الآراء السائدة في عصرهم.

٤- يدعو إلى التحرر الفكري فيقول: «من أراد أن يكون رجلاً ينبغي أن ينشق عن السائد المألوف،... إنّ الثّبات على رأي واحد هو غول العقول الصغيرة... انطق بما تفكر فيه الآن في ألفاظ قوية وانطق بما تفكر فيه غداً في ألفاظ قوية، كذلك حتى إن ناقض ما قلته اليوم، وإذن فتق أنك سوف يُساء فهمك... لكي تكون عظيماً لا بدّ أن يُساء فهمك».

ويُنهي حديثه عن الكتاب قائلاً: «ذلك هو لب الكتاب الذي أوحى به السفارة الأميركية لطله حسين، فترجمه بأموال العرب وأهداه إلى شبابهم ومفكرهم، ولعنة الله على شياطين الإنس والجنّ ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ آلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام ١١٢].

وأما في حديثه عن الكتاب الثّاني بيّن

حيث يقول فيه: «يجب حين نستقبل البحث عن الأدب العربي وتاريخه أن ننسى قوميّتنا وكلّ مشخصاتها، وأن ننسى ديننا وكلّ ما يتّصل به»، مما استفز مشاعر المسلمين وطالبوا بفصله من الجامعة ومحاكمته. وبعد تعليقه واستكباره يستغفر الله تعالى لنفسه وللقارئ هذه المفتريات التي أسهب في شرحها قائلاً: «إنّما قصدت أن أضع بين يدي القارئ جسم الجريمة ليرى رأي العين طه حسين يحمل أوزاره فوق ظهره، وليطالب النّاس المسؤولين بكفّ أذاه إن كان فيهم بقية من غيرة على إسلامهم وعلى شخص نبيّهم الطاهر الكريم».

ولوتتبّعنا كتبه لوجدنا فيها كثيراً من الانتقادات لطله حسين، بسبب ما ورد في كتبه ومقالاته من دعوة لفتح باب التطوير في اللغة العربيّة ودراساتها، إلى دعوة لتبديل النّحو والخطّ، ثمّ يتبعها بتعليق يبيّن فيه رأيه.

وفي الحوار الأخير الذي أجراه معه أنور الجندي، أثناء زيارته لمصر، سأله عن رأيه في كتابات العقّاد وطه حسين الإسلامية، فأجاب بأنّهما لا ينتميان أصلاً إلى المدرسة الإسلامية فكرياً، وإنّما إلى المدرسة الليبرالية المتحررة التي تحكّم العقل المجرد المتحرر من الموارث الفكرية والسلوكية، وأضاف: لكنّ طه حسين أكثر عنفاً وأكثر جرأة في معارضة الدّين وفي المجاهرة بما يثير النّاس ويلفت إلى نفسه الأنظار، فقد هاجم أباه فيما كان يتلو من أوراد عقب الصّلاة وفي اللّيل.

الوعمي

عام من ذلك الوقت، فأصبح بعد ذلك الحين عرضةً لحِميات ونوبات غريبة» وهنا حرص هذا الصّهيوني على تبرئة اليهود من تهمة دسّ السّم للنبيّ عليه الصّلاة والسلام في الشاة.

٤- ويقول في موقع آخر من الكتاب: «وهاجرت إلى المدينة مائتاً أسيرة من مكة، فنشأت فيها من جرّاء هذه الهجرة مشكلة الحصول على ما يكفي أهلها من الطعام، وحلّ محمد هذه المشكلة كما يحلّها كل الأقوام الجياع بالحصول على الطعام أنى وُجد، ومن ذلك أنّه أمر أتباعه بالإغارة على القوافل المارة بالمدينة، [ويعني بها (قافلة أبو سفيان)]».

٥- ومن تشنيعه لصورة النبيّ ﷺ قوله: «وضُمت صفية -وهي فتاة يهودية في السابعة عشرة من عمرها كانت مخطوبة لكنانة- إلى نساء النبيّ».

وفي تعليق الدكتور محمد حسين على هذا الكتاب وأثره على القراء يقول: «إنّ هذه الروح اللادينية قد أصبحت وللأسف الشديد هي التي تسود دراسات التّاريخ الإسلامي في أكثر جامعاتنا... وما لي أذهب بعيداً وهذا هو محمد بدران -مترجم هذا الجزء- يقرر في مقدمته أنّ المؤلف قد (أنصف الحضارة الإسلامية فشاد بفضلها)».

ويستنكر الدكتور نقل هذه الكتب التي حدث بجماعة من المسلمين إلى اتخاذها نموذجاً لبحوثهم الإسلامية ظانّين أنّ تجردهم من إسلامهم شرط لسلامة البحث وعلميته كما زعم لهم طه حسين في كتابه (الشعر الجاهلي)

لقد كان هذا الحوار قبل وفاة الكاتب محمد محمد حسين بفترة وجيزة، وبذلك يؤمل أن يكون قد وفى بوعده ببذل الجهد في فضح أدعياء «النّهضة والحفاظ على الإسلام» وعلى رأسهم طه حسين.

وفي كتابه «الإسلام والحضارة الغربية»، تتبّع ما طرأ على الفكر الإسلامي خلال القرنين الأخيرين من تطوّر سلبي، وما أصاب المسلمين بسبب صلتهم بالحضارة الغربية.

بدأ كتابه بتوضيح أنّ الصراع السياسي والاقتصادي في العالم الإسلامي أقل خطراً من الصراع الفكري والحضاري، موضحاً أنّ الظروف الاقتصادية والسياسية كثيرة التّقلّب سريعة التّبدّل وآثارها تزول بسرعة، في حين أنّ التغيّر الفكري والحضاري بطيء في سريانه وفي تفاعله، طويل المدى في تأثيره، صعبٌ علاجه، والنفس تتشربه آناً بعد آن ويسري فيها بطيئاً سريان الغذاء في الأبدان، وليس من السّهل فصل النّاس عمّا ألفوه من عادات وتقاليده وما توارثوه من عقائد.

ثمّ يسرد كيف تمّ الغزو الفكري والثقافي للبلاد الإسلامية، حيث بدأ في عصر النّهضة الأوروبية العلمية والصّناعية في الوقت الذي كانت الدّولة الإسلامية في حالة تدهور، ثمّ المدّ الاستعماري للدّول الأوروبية وروسيا للبلاد الإسلامية، ممّا ولّد شعوراً بالخطر وإحساساً بضرورة تعزيز الجيوش في البلاد الإسلامية، فتّم إرسال بعثات إلى الدّول الأوروبية واستقدام أساتذة وخبراء غربيين للتدريس في المعاهد

العلمية وللتخطيط للنّهضة الحربية المأمولة، وكان الهدف فقط الحصول على الخبرات العلمية لا الثقافية، ورغم الحرص الشّديد من بعض الحكام، إلا أنّ الثّقافات الغربية غزت البلاد الإسلامية عن طريق ترجمة الكتب الأوروبية في العلوم والفنون، فدخلت أفكار الوطنية والقومية والحرية والنظريات الثورية والاختلاط والمرأة وحقوقها...

لقد ركّز في كتابه على اثنين من التلاميذ الذين أثّرت فيهم البعثات الفرنسية وأصبحتا يناديان بتنظيم المجتمع على أساس علمي بدل الدين، وهما:

(١) رفاعة الطهطاوي: والذي ظهر في كتب الطهطاوي، اهتمامه بالفراغة وملوكهم وما قدّموه لمصر، مطالباً بإعادة الآثار الفرعونية التي نُقلت إلى فرنسا بحجة أحقية مصر فيها، فاتجاهه إنّما هو اقتباس من المجتمع الفرنسي بعد الثورة، والذي قضى على الرابطة الدّينية وأقام مكانها رابطة المصلحة الوطنية أو ما سمّاه الطهطاوي (المنافع العمومية) التي تقوم على الحرية والإخاء والمساواة بين أبناء الوطن الواحد، كما نفى في كتابه (تخليص الإبريز) والذي كتبه في باريس أن يكون الاختلاط والتبرج داعياً إلى الفساد أو دليلاً على التساهل في العِرض وإنّما مردّد ذلك كله إلى التربية، ودافع عن رقص الباليه ومراقبة الرجال للنساء حيث وصف: «أن الرقص عندهم فنٌّ من الفنون وهو نظير المصارعة في موازنة الأعضاء، والرقص والمصارعة مرجعهما واحد

والذي برز كأحد أعلام الإصلاح ألا وهو (محمد عبده) الذي كان هدفه تطوير الإسلام لكي يوافق الأمر الواقع في حياتنا العصرية، فهاجم التقليد، وطالب بإعادة النظر في التشريع الإسلامي كله من غير قيد، ودعا إلى الاجتهاد فاتحاً الباب على مصراعيه من غير قيد للقادرين وغير القادرين، فظهرت الفتاوى الخاطئة التي تبيح الإفطار لأدنى عذر، وتبيح الربح في صناديق التوفير، وتزعم (حزب الإصلاح الحر) في الأزهر خلفاً لأستاذه جمال الدين الأفغاني، يقول صديقه (بلنت)، المندوب السامي البريطاني) وهو من المتحررين الذين لا يؤمنون بالمسيحية: «أخشى أن أقول إن محمد عبده -بالرغم من أنه المفتي الأعظم- ليس له من الثقة بالإسلام أكثر مما لي من الثقة بالكنيسة الكاثوليكية».

ثم بيدي أدبينا رأييه فيقول في كتابه: «إن الاجتهاد في حال افتتاننا بالحضارة الغربية خطر غير مأمون العواقب، يخشى منه أن يتحوّل -من حيث يدري المجتهد أو لا يدري- إلى تسويغ للقيم الأجنبية التي هو معجب بها... فيفتي حين يستفتي وعينه على الذين يفتيهم، يريد أن يرضيهم وأن يظفر بتقديرهم، فيجور على الحق إرضاء للخلق، ويذهل عما عند الله تعجلاً لما عند الناس». كما أنه لم ينس أستاذ محمد عبده وهو (جمال الدين الأفغاني) موثقاً بأدلة أنه ليس أفغانياً سنياً حسب ما يزعم وإنما إيرانياً شيعياً، أخفى حقيقته حتى يتمكن من

يُعرف بالتأمل... وهو غير خارج عن قوانين الحياة، بخلاف الرقص في أرض مصر فإنه من خصوصيات النساء لأنه لتهيج الشهوات». (٢) خير الدين التونسي: شارك الطهطاوي في الإعجاب بالحرية، وفي عدم التنبه إلى الأصول العلمانية (اللا دينية) التي تقوم عليها، لكنه كان أعمق منه فهماً في تصوّر حدودها وآفاقها وما يمكن أن يترتب عليها من آثار، كما أشار إلى أنه كان متأثراً بالناحية الاقتصادية، فانبهر بالشركات ونظام المصارف وأنواع الخدمات التي تؤديها كالإقراض بضمانات وشروط معينة للقيام بمشاريع ضخمة لا يمكن إنجازها عن طريق الأفراد -حسب زعمه- حيث يقول: «فمن الذي كان يقدر وحده على اصطناع طريق جديد أو يخاطر بجميع ماله»، كما ونادى بوجوب الأخذ بالنظام الديمقراطي الغربي قياساً على وجوب المشاورة.

لقد استفرد في كتابه عدّة صفحات لإعطاء أمثلة عما نادى به كلّ منهما وهما يحاولان التقريب بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي، والتبرير لما يقوم به الغرب من تصرفات تعارض الدين الإسلامي بمبررات واهية تافهة.

وكذلك احتوى كتابه على عرض واسع للأهداف الحقيقية للاستعمار من وراء نشر حضارته في البلاد الإسلامية والوسائل التي اتخذوها.

كما تعرّض لذكر أحد معاول الهدم

الوصول إلى أهدافه التي وضعها له الاستعمار والماسونية، فهو الذي أسس للجمعيات السرية ونشرها مثل (مصر الفتاة) و(الوطني الحر) و(العروة الوثقى) وأنشأ محفلاً ماسونياً، وكانت تنقلاته غريبة حيث كان يتخذ أسلوب التخفي حتى في لباسه متنقلاً بين مضارب الأعراب في مصر وسوريا ونجد يدعوهم إلى الثورة، وكانت له ارتباطات كثيرة بيهود، فأنشأ لهم جمعية سرية أعضاؤها يهود، طبيبه الخاص كان يهودياً اسمه هارون، وكانت مجالسه تضم خليطاً من المسلمين والنصارى واليهود، وكان يفاوض الإنجليز في الوصول إلى اتفاق مع تركيا ضد روسيا، ومع المهدي للاعتراف باستقلال السودان، كل تلك الأساليب الخفية اتخذها وهو يدعو إلى إنشاء الجامعة الإسلامية ليظهر وكأنه من دعاة إصلاح المجتمع الإسلامي.

وفي رسائل الأفغاني إلى محمد عبده كان كلامه يشبه كلام صوفية الحقائق القائلين بوحدة الوجود، وفي رسائل محمد عبده إلى الأفغاني يظهر وصفه له بما لا يوصف به إلا الخالق جل شأنه، وجراته على الملائكة والأنبياء، ولم يذكر اسم محمد عبده في الصحف والمجلات وكتب الكتاب الليبراليين إلا مقترناً بلقب (الإمام) أو يقولوا (سيدنا فلان) أو يتبعوه في الدعاء (رضي الله عنه).

وللتأكيد على كلامه وثقه بشهادات لمفكرين وشيوخ إسلاميين صادقين ثقة، مثل (محمد الجنبهي) و (مصطفى أفندي صبري)

والعالم الأزهري (الشيخ يوسف النبهاني) الذي وصف في كتابه «العقود اللؤلؤية» ما دار بينه وبين الشيخ رشيد رضا عن محمد عبده وتركه للصلاة والحج مع الاستطاعة ودخوله للماسونية، وكيف أنه يوصف بـ(الإمام) في دين الإسلام وهو من أفسق الفساق بتركه لأركان الإسلام، وكيف أن رشيد رضا والباقيين يعتبرونه مثل الإمام الغزالي، ويضيف قائلاً: «إنه برسوخ هذا الضلال في نفوسهم، لم يجعل للموعظة أدنى تأثير فيهم، وإنهم يجتهدون أن يجعلوا الناس ضالين مضلين مثلهم، ويزعمون أنهم هم المصلحون، ويضعهم الشيخ يوسف النبهاني في جملة الذين شملتهم الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (١٢)» [البقرة ١١].

ثم إنه أراد أن يوضح للقارئ كيف أنه لم يمض على موت محمد عبده ربع قرن حتى أصبح الأزهر الذي كان معقل المعارضة لهما، أصبح ينادي ويحمل لواء التجديد والعصرية، وكيف أن محمد عبده واصل برعاية الأفكار التي بذرها الطهطاوي وخير الدين التونسي، ثم واصل تلاميذه من بعده القيام بالمهمة وصولاً إلى (سعد زغلول وقاسم أمين وغيرهما).

فبحديثه عن قاسم أمين ذكر أنه حمل لواء إقحام كل مفسدة وفسق على الإسلام بحجة أنها لا تعارضه، فهو أول من جرأ الناس على تحريف النصوص، حيث جمع بعضاً من النصوص المحرفة عن مواضعها والمخلوعة

الوليد ووصفه إياه بـ(خالد الترك)، وظنّه أنّه جاء ليقيم عشرة الخلافة ويحيي مجد الإسلام، حتى أنّه هاجم في قصيدته الخليفة والمفتي لأنّ المفتي قد أفتى بهدر دم مصطفى كمال، ثمّ تغرّ نظرته أحمد شوقي تجاهه بعد أن انكشف له المستور وبان مصطفى كمال على حقيقته وهدم الخلافة، فقد ارتفع صوته بقصيدة أعنف وأصدق عاطفة هاجمه بها وبكى الخلافة.

(ب) وعيه على الاستشراق وأبعاده وخطره على الإسلام: حيث ينبه القارئ إلى أنّ الدراسات التي يُعدّها المستشرقون تهدف إلى دراسة خصائص الشعوب الإسلامية ومعرفة طرق التعامل معها لخدمة المصالح الاستعمارية، فيقول: «من الواجب على المسلمين أن يدركوا إدراكاً واضحاً أنّ البحوث الإسلامية التي يكتبها المستشرقون هي بحوث موجّهة من أجل ذلك (أي من أجل تغيير القيم الإسلامية)، فتمجيد الإسلام في كتب المستشرقين يقصد به خلق جوٍّ من الاطمئنان إلى نزاهة الفكر الغربي من ناحية، ومقابلة هذه المجاملة من جانب المستشرقين بمجاملة مثله من جانب المسلمين للقيم الغربيّة».

ويقول أيضاً: «إنّ المقصود من الاستشراق هو تفاعل الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، وليس نقل الحضارة الغربية للعالم الإسلامي، حتى يتمّ بالامتزاج تطوّر للحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ويصْبِح شيئاً جديداً مختلفاً عن الحضارة الغربية والحضارة

عن سياقها وعن مدلولها، وتصيّد من التاريخ ورواياته كل شاذّ غريب ووضعها في حيز واحد، وضمّمها بحيث خُيِّلَ إلى قارئها رغم شذوذها وقُلَّتْها أنها مألوفة كثيرة الوقوع.

وممّا يدل على وعي الدكتور محمد حسين على الواقع:

(أ) وعيه على أهمية الدولة الإسلامية ودورها في رعاية شؤون المسلمين، واعتباره أنّ أفسى وأخطر محنة مرّت على المسلمين في حياتهم هي سقوط الخلافة الإسلامية، يقول في كتابه (أزمة العصر): «قد يبدو الأمر غير خطير إلى حدّ الإزعاج في أعين أبناء هذا الجيل ممن لم يعرفوا الخلافة الإسلامية، وممن يتخيّلون أنها طراز من الأشكال التاريخية التي طواها الزمن، ولكنّ شعور الذين عاصروا الخلافة، ووُلِدوا في ظلّها وعاشوا في دولتها كان مختلفاً أشد الاختلاف، وكانت في نظرهم وعاء للإسلام ورمزاً لوحده، وتحقيقاً لوجوده في قلب الحياة، وكان فزعهم لإلغائها فزع من عاد يوماً إلى بيته الذي يؤويه، أو المسجد الجامع الذي يضمه إلى المسلمين في يوم جمعة أو عيد، فوجده مهدوماً».

وحرصاً منه على كشف المتآمرين الخدّاعين، وضّح ما قام به مصطفى كمال من خداع بطولي بالانتصار، وإجلاء اليونان عن الأناضول عام ١٩٢٢م وتكبيده لهم خسائر فادحة، واعتبار ذلك عند الأمة انتصاراً للإسلام على المسيحية، وانخداع أحمد شوقي به وكتابه لقصيدة يُقرنه فيها بخالد بن

الإسلامية».

الدين الإسلامي المرن الذي يستطيع أن يساير الزمن.

- ومن آثار إنشاء هذه الشعبة، بحثٌ تقدمت به إحدى المتخرجات في قسم اللغة العربية بجامعة الإسكندرية للحصول على درجة الماجستير عام ١٩٦٥م وموضوعه «دراسة في أصوات المدّ في التجويد القرآني»، احتوى البحث على نصوص فاسدة منحرفة منها: (١) إن القرآن الذي يتعبد به المسلمون ليس منزلاً من عند الله، أو هو منزلٌ من عند الله بمعناه لا بلفظه.

(٢) إن رسول الله ﷺ كان يغيّر ويبدل في النصّ القرآني حسب الظروف وكذلك كان يفعل الصحابة.

(٣) إن المسلمين لم يتفقوا على نصٍّ موحدٍ للقرآن، وأن كل ما وصلوا إليه هو شيء يشبه النصّ الموحد، وبذلك تهدم فكرة التوقيف في قراءة القرآن وبالتالي عدم تواتره واتصاله برسول الله ﷺ.

رغم ما حوى البحث من أحكام تستخف بعقائد المسلمين ومقدساتهم، إلا أن المشرف على البحث كتب تقريراً يؤكد سلامة البحث وصلاحيته للمناقشة، وبعد المناقشة وبالرغم من اعتراض أحد الأساتذة عليه إلا أن لجنة المناقشة قبلت البحث ومنحتها درجة الماجستير بمرتبة جيد جداً، مع اشتراط عدم طباعته إلا بعد التعديل لبعض أجزائه، ما أدى إلى اعتراض أحد الأساتذة والطلب من مجلس الكلية التمهّل في الموافقة حتى تتم مراجعته،

(ج) وعيه على الخطر الذي يأتي من جانب تبعيّة التعليم في البلاد العربية للمناهج الأجنبية، موضحاً أنّ وزارات التربية والتعليم هي المؤتمنة على أئمن ما تملكه الأمة من كنوز عقلية وخلقية، وأنّه لا ريب أنّ اتصال القائمين على الوزارة بالمؤسسات الغربية والتعاون معها هدفهم ابتلاع هذه الأمة والكيد لها، وتفريق جماعة المسلمين وتشتيت شملهم حتى لا تكون أخلاقهم وأذواقهم ولغتهم وأساليبهم وإسلامهم امتداداً لخلق وذوق ولغة وأساليب وإسلام الآباء والمسلمين الأوائل، وأعطى أمثلة على ذلك منها:

- إصدار كتب قراءة جديدة في مصر معتمدة على إهمال اللغة العربية الفصحى فيها، مستبدلة إياها بلهجات عاميّة ملتقطة من ألفاظ الأسواق، وحجتهم أنهم لا يقدمون للنشء إلا ما يلائم عقولهم وتقكيرهم، ويتجنبون تكليفهم حفظ ما لا يستطيعون تدبره وفهمه، ثمّ يحمد الكاتبُ الله أن ألغيت بعد أن ثبت فشلها وخطرها.

- إن أعداء الإسلام والمبشرين وسماصرة الصهيونية كانوا يشنعون بجمود علماء الشريعة الإسلامية وينددون بتخلف الأزهر عن ركب الحياة، وقدّم أحد أعضاء (لجنة التربية الدينية) بوزارة التربية والتعليم اقتراحاً - كان طه حسين قد اقترحه سابقاً ورُفض من قِبَل مدير الجامعة - بإنشاء شعبة للدراسات الإسلامية في كليات الآداب لتخريج مُدرس

هذا الاتجاه في فلسطين والاهتمام بالتاريخ السابق له يفتح للصهيونية ادعاء الحق في هذا الجزء من أرض الوطن.

هـ) وهو حينما يتكلم عن الشيوعية يبين: «إنها تهبط بالنوع البشري وتهوي به إلى الحيوانية؛ لأنها تحصر أهداف الإنسانية في إشباع البدن وتقسيم الأرزاق، لكنها لا تعالج الشقاء الناتج عن الحيرة الروحية والقلق النفسي الملح الذي يعجز عن تذوق بهجة حياة يهددها العجز والمرض وليس وراءها إلا الضياع المطلق بعد الموت».

و) وفي حديثه عن التغريب يبين أن من آثاره:

١- الدعوات إلى العالمية أي إلى جمع الناس على مذهب واحد تزول معه خلافاتهم الدينية والعنصرية لإحلال السلام في العالم محل الخلاف، وهي دعوات هدامة تشكك الناس في ولائهم الديني وتتركهم في فوضى وقلق وسط أنقاض ما هدمت من عقائد وما قطعت من وشائج.

٢- التوفيق بين الأديان وبين المسيحية والإسلام على وجه الخصوص، حيث بدأ هذا التوفيق باتفاق قسيس إنجليزي اسمه (اسحق تيلور) مع الشيخ محمد عبده وبعض صحبه في أثناء نفيه بالشام عام ١٨٨٣م ثم ظهرت من جديد حين قام جماعة من المعروفين بميولهم الصهيونية بعقد مؤتمر للتأليف بين الإسلام والنصرانية في بيروت عام ١٩٥٣م ثم الإسكندرية عام ١٩٥٤م.

وبعد عرضه على الدكتور محمد محمد حسين الذي لم يكن حاضراً للمناقشة هاله ما ورد فيه، فتقدم بمذكرة إلى مدير الجامعة يطالبه بالتوقف عن توثيق قرار لجنة المناقشة، وبإبراء ذمته من البحث وتبعاته وإخراج الجامعة من مظان الشبهة واعتبار البحث كأن لم يكن، أو إحالته إلى لجنة من المتخصصين في جامعة الأزهر التي لها وحدها جهة الاختصاص، وهذا الأمر كان السبب في تعرض الكاتب للهجوم والتشنيع والتغريب به للدولة، وأتهم بإضاعة كرامة العلم والعلماء، إلا أن ذلك لم يؤثر في صموده ومواصلة طلبه بردّ البحث إلى أن تمّ له ذلك.

د) وعيه أيضاً على مكن الخطر في علم الآثار على الإسلام: حيث بين أن هذا أسلوب خبيث يتم فيه بعث التاريخ السابق على الاسلام في كل بلد من البلاد الإسلامية لتلوين الحياة المحلية في كل بلد بلون خاص يستند إلى أصول الجاهلية الأولى مما يؤدي إلى الفرقة والتشعب والتفكك بعد الوحدة الإسلامية، مذكراً بما تبرع به الثري الأميركي الصهيوني (روكفلر) حيث تبرع بعشرة ملايين دولار لإنشاء متحف للآثار الفرعونية يلحق به معهد لتخريج المتخصصين في هذا الفن، ويعزي هذا التبرع السخي إلى مصالح صهيونية بعد حصولها على وعد بلفور، والذي لا يمكن تنفيذه بإنشاء الوطن اليهودي إلا وسط هذه النعرات الإقليمية المفرقة، لأن الوحدة تحول دون اغتصاب هذه القطعة الغالية، ولأن تطبيق

٣- الصلة بين الإسلام والقومية: فقد وضح الكاتب أنّ القرآن هو الذي حافظ على اللغة العربية، وذلك ردّاً على من يشكّكون بالصلة بين العروبة والإسلام ويزعمون أنّ الإسلام ليس عنصراً أصيلاً في مقومات العروبة، وغيرهم أرادوا أن يُعرّوا الإسلام من صفته العربية، هذه الدّعوة ظهرت بالدّعوة إلى الجامعة العربية مرادفة للجامعة الإسلامية.

إنّ هذا الاستعراض لبعض ما ورد في كتب محمد محمد حسين، ما هو إلا استعراض مجمل، وبالرجوع إلى الكتب التي ألفها، فإنّ فيها شروحات مسهبة لكلّ حادثة أو مؤتمر أو خديعة توصل القارئ إلى حقيقة ما خفي من أهدافٍ هدامةٍ فعلاً تُخفي وراءها معاول هدمٍ عديدةٍ ومتنوعة. ومما يلاحظ في كتبه ومقالاته تكراره لبعض المواضيع في أكثر من كتاب، بل في أكثر من موقع في كتاب واحد، ويُعزي لنا سبب ذلك في قوله في كتاب (أزمة العصر) عن أعداء اللغة العربية في تكرارهم ما بدؤوا به دون إضافة جديد إليه أنّهم يعتمدون في أسلوبهم على أنّ النّاس إذا تكرّر سماعهم للباطل أوشكوا أن يصدّقوه؛ لذلك هم يكررون القول حيناً بعد حين؛ لذلك يرى أنّه كان فرضاً لازماً على أصحاب الحقّ أن لا يملوا من تكرار الردّ عليهم ركوناً إلى أنّهم قد أذاعوه من قبل حتى لا تتفرد دعايتهم المفسدة بالشباب فتستأثر به ثمّ لا تجد ما يُصححها وينتشلها من البلبلة والتمزق والحيرة.

هذا هو الأديب محمد محمد حسين الذي وصفه زملاؤه بالصدق والأمانة وكرم النّفس: أولاً: شهد له الدّكتور محمد بن سعيد بن حسين، زميله في كلّية اللّغة العربية بالرياض وهو يمدح فيه جرأته في طرح المواضيع يقول: «والنّاظر إلى كتبه بلا استثناء يجد أنّها جميعاً من الموضوعات التي تهيبّ ميدانها كثيرون، أو أنّها من الموضوعات ذات الحساسية في الميادين الفكرية».

ثانياً: تكلم الدّكتور إبراهيم عوضين عن إبداعه في النّقد فقال: «المبدع في نقد الدّكتور محمد محمد حسين أنّه يأتي بالدليل الحاسم في قوّة، فليست بحوثه ذبذبات عاطفية تعتمد على الضّجيج الخطابي، ولكنها ثمرة فكرٍ عاقل يؤمن بالحجّة ويعتصم بالدليل».

ثالثاً: كذلك اعتبره الدّكتور أنور الجندي، الذي عرفه لمدة عشرين عاماً وهما في مواجهة التّغريب والغزو الفكري، اعتبره واحداً من حملة لواء أسلمة الأدب والثّقافة في كلّية الآداب، وتحريرها من الزّيف والسّموم التي صبغها بها طه حسين وشيعته وردّ للإسلام اعتباره.

رحم الله الكاتب الرّائد المخلص وجعل ذلك في ميزان حسناته، فقد وُجد في زمن عزّ فيه الواعون على الواقع، المدركون للمفسدين والمفاسد، ولكنهم لم يملكوا من الجرأة الكافية كالتّي امتلكها هو في الصّدع بالحق، فكان بحقٍ جديراً لأنّ تُسطر له هذه الإشادة بإخلاصه وجهوده □

الرعاية الصحية في دولة الخلافة (٦)

القطاع العام والقطاع الخاص

تكون الرعاية الصحية في الدولة الإسلامية مجانيةً وشاملةً من قِبَل الدولة، وعلى الدولة أن تُوفّر كل ما يلزم من معدّات وخدمات صحية للمرضى، مما يُشكّل عدَم توفيره لهم ضرراً عليهم. ولكن لا يُمنع الأفراد أو الشركات في الدولة الإسلامية من تقديم الخدمات الصحية الخاصة، أو فتح العيادات والمستشفيات الخاصة، ولا يُمنع أحد من الرعية من التداوي في القطاع الخاص، والدليل على ذلك ما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: «دعا النبي ﷺ غلاماً حجاماً فحجمه، وأمر له بصاع أو صاعين، أو مد أو مدين، وكلم فيه فخفف من ضريبته». فالغلام هنا قام بالحجامة وقبض أجره من الرسول ﷺ.

ويُشترط في من يُقدّم الرعاية الصحية من القطاع الخاص، سواء أكان فرداً أم شركة، أن يلتزم بقوانين الدولة ورقابتها، ويُشترط أيضاً أن يكون من يُقدّم أيّاً من الخدمات الصحية مؤهلاً لذلك، سواء أعمل في القطاع الخاص أو العام، ومن يُقدّم أي خدمة صحية دون أن يكون مؤهلاً لتقديمها يُمنع من قِبَل الدولة ويُعاقب، وأما إذا أدى إلى ضرر بعمله هذا فهو ضامن لما سبّب من ضرر بإقدامه على ما ليس من اختصاصه.

والدليل على هذا عامٌ وخاصٌ، فأما الدليل

العام فهو قاعدة لا ضرر ولا ضرار، حيث إن ممارسة العلاج أو الرعاية الصحية من قِبَل من لا علم له بها قد تؤدي إلى ضرر بالمريض. يقول الماوردي في الأحكام السلطانية عند حديثه عن أخذ ولادة الحسبة بمراعاته من أهل الصنائع: «فأما من يراعي في عمله في الوفور والتقصير: فكالطبيب والمعلمين؛ لأن للطبيب إقداماً على النفوس يُفضي التقصير فيه إلى تلف أو سقم، وللمعلمين من الطرائق التي ينشأ الصغار عليها ما يكون نفلهم عنها بعد الكبر عسيراً. فيقر منهم (أي الأطباء والمعلمون) من توفّر عمله وحسنت طريقته، ويمنع من قصر وأساء من التصدي لما يفسد به النفوس وتخبث به الآداب». وينقل القرافي في الذخيرة عن الإمام مالك قوله: «ينهى الإمام الأطباء عن الدواء إلا طبيباً معروفاً، ولا يشرب من دوائهم إلا ما يُعرف». أما الدليل الخاص، فقد روى أبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم عنه ﷺ قوله: «من تطبّب ولم يعلم منه طبّ قبل ذلك فهو ضامن»، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وقال الخطابي: «لا أعلم خلافاً في أن المعالج إذا تعدّى فتلف المريض كان ضامناً، والمتعاطي علماً أو عملاً لا يعرفه مُتَعَدٍّ، فإذا تولّد من فعله التلف ضمن الدية وسقط القود عنه لأنه لا يستبدّ بذلك دون إذن المريض»، انتهى.

إلى التسهيل على صاحب المصلحة. وثالثتها القدرة والكفاية فيمن يُسند إليه العمل، وهذا يوجبُه إحسانُ العمل كما يقتضيه القيام بالعمل نفسه.

وبالنسبة للمصالح الصحية بشكل خاص، فالسرعة والبساطة والبعد عن التعقيد في المعاملات الإدارية أولى وأهم، إذ إنَّ المريض حاجة ملحة قد يؤدي تأخير علاجه إلى تفاقمه وزيادة الضرر الناتج عنه، ثم إنَّ المريض لا تطيق نفسه الماطلة والانتظار وتعقيدات المعاملات. ومما يقلل من التعقيدات والمعاملات الإدارية في إدارة الرعاية الصحية توحيد كافة الخدمات والمنشآت الصحية في الدولة الإسلامية في جهاز واحد، على رأسه مدير عام مصلحة الصحة، ويليهِ في السلم الإداري مدراء الدوائر المقسمة حسب الولايات، ثم مدراء الإدارات المقسمة حسب العمليات، بحيث تتولى مصلحة الصحة شؤون المصلحة ذاتها وما يتبعها من دوائر وإدارات فرعية، وتتولى الدائرة شؤون الدائرة نفسها وما يتبعها من إدارات متفرعة عنها في عمالات الولاية. ويكون أطباء العائلة وممرضات المدارس ومراكز رعاية الأم والطفل والمراكز الصحية والمستشفيات والصيدليات وكل مرافق وعُمال الصحة الآخرين مسؤولين أمام مدير الإدارة في العمالة التي يتبعون لها.

أما من حيث تمكين كل الرعية من الحصول على الخدمة الصحية اللازمة فيتم على النحو التالي:

(١) يكون في كل عمالة عدد من المراكز الصحية التي تحوي أطباء عائلة

وكان ﷺ يُشرف على إنتاج الأدوية أيضاً، أخرج الحاكم في المستدرک وقال صحيح الإسناد ولم يُخرجاه، عن عبد الرحمن بن عثمان التيمي، قال: «ذَكَرَ طَبِيبُ الدَّوَاءِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ الضَّفْدَعُ يَكُونُ فِي الدَّوَاءِ، فَهِيَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ قَتْلِهِ». ووجه الاستدلال بهذا الحديث أنه يدلُّ بدلالة الإشارة على أنَّ الدولة تُشرف على إنتاج الأدوية، إذ الحديث سيق ليبيان النهي عن قتل الضفدع، لكنه يفيد أيضاً بدلالة الإشارة أنَّ الدولة لها أن تمنع صناعة نوع ما من الأدوية. وهذه الأدلة تبين أنَّ للدولة أن تُشرف على القطاع الصحي الخاص، بل إنَّ ذلك واجبٌ عليها.

نظام الصحة الإداري

يقوم النظام الإداري للرعاية الصحية في الدولة الإسلامية على البساطة والإسراع في تقديم الخدمة الصحية والعلاج، كما يقوم على الكفاية فيمن يتولون الإدارة. وهذا مأخوذ من واقع إنجاز المصالح بشكل عام، فصاحب أي مصلحة إنما ينبغي سرعة إنجازها وإنجازها على الوجه الأكمل، والرسول ﷺ يقول فيما رواه الإمام مسلم في صحيحه: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلِئِذَا أَحَدُكُمْ شَفَرْتَهُ فَلْيُرْحَ ذَبِيحَتَهُ». فالإحسان في قضاء الأعمال مأمور به من الشرع. وللوصول إلى هذا الإحسان في قضاء المصالح لا بد أن تتوفر في الإدارة ثلاث صفات، إحداها البساطة في النظام لأنها تؤدي إلى السهولة واليسر، والتعقيد يوجد الصعوبة. وثانيها الإسراع في إنجاز المعاملات لأنه يؤدي

مستشفى واحدًا على الأقل، يحوي التخصصات الأساسية كالباطنية والجراحة والأطفال وما إلى ذلك، ويحوي أيضًا قسمًا للطوارئ. وعلى الدولة أن تهتم أن يكون في كل ولاية مستشفى واحدًا على الأقل يحوي بالإضافة إلى التخصصات الأساسية تخصصات فرعية وأقسامًا للأمراض النادرة، وتتحدد هذه الأقسام حسب الأمراض الموجودة في تلك الولاية، إذ قد توجد أمراض في مناطق الشرق الأقصى ولا تعرف في أفريقيا.

بَنَكُ الْمَعْلُومَاتِ وَالِدَوَائِينَ وَالْمَلَفَاتِ الشَّخْصِيَّةِ الْإِلِكْتَرُونِيَّةِ: على مصلحة الصحة في الدولة الإسلامية أن تنشئ سجل معلومات إلكترونيًا لكل فرد من أفراد الرعاية يحوي كل التفاصيل الصحية المتعلقة به، ويحوي كل المشاكل الصحية التي عانى منها والخدمات أو الأدوية التي تلقاها، وتستقى هذه المعلومات من مراكز رعاية الأم والطفل وممرضات المدارس والمستشفيات وأطباء العائلة وكل جهاز إداري صحي آخر في الدولة، بحيث تدون في سجل إلكتروني واحد. والهدف من مثل هذا التدوين هو إطلاع كل من يريد تقديم خدمة صحية لهذا المريض على ماضيه الصحي ليسهل عليه تشخيص المشاكل الصحية ووصف العلاج الملائم.

ولأن الطبيب مُسْتَشَارٌ، و«المستشار مؤتمن» كما روى أبو داود عنه رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْهُ وصححه الألباني، وجب أن تكون هذه المعلومات عن المريض سرية لا يطلع عليها إلا المريض نفسه أو من أذن له المريض بذلك، لأن المرض مما يكتُم عادة ولا يُرغب بإطلاع

وممرضاتٍ وصيدليةٍ وطاقمٍ طوارئٍ وسيارات إسعافٍ، حسب عدد سكان العمالة ويُعد المناطق السكنية عن بعضها، بحيث لا يكون لكل طبيب عائلة عدد كبير من المرضى يَعبُرُ معه عن تقديم الخدمة الصحية لهم بسرعة وبإحسان، وبحيث لا يكون المركز الصحي بعيدًا جدًا عن المريض. وإذا حصل وكان سَكَنُ أَحَدِ الرعية معزولاً وبعيداً عن أقرب تَجْمُعٍ سَكَنِيٍّ، وُضِعَتْ تَحْتَ تَصَرُّفِ أقرب مركزٍ صحيٍّ إليه وسائل نقل تضمن نقل المريض إلى المركز في أي وقتٍ لَتَلْقَى أي خدمة طبية سواء أكانت طارئة أم لا، أو نقل الدواء إلى المريض.

(٢) مَنْ أَرَادَ أَيَّ خِدْمَةٍ صَحِيَّةٍ غَيْرِ طَارِئَةٍ يَتَوَجَّهُ إِلَى طَبِيبِ الْعَائِلَةِ، وَيَقُومُ الْآخِرُ بِتَقْدِيمِ هَذِهِ الْخِدْمَةِ إِنْ كَانَتْ فِي مَجَالِ تَخْصُّصِهِ وَعِلْمِهِ، وَإِلَّا أَحَالَ الْمَرِيضَ إِلَى مُخْتَصٍّ آخَرَ أَوْ إِلَى الْمُسْتَشْفَى بِحَسَبِ الْمَشْكَلَةِ الصَّحِيَّةِ وَضُرُورَةِ تَقْدِيمِ الْعِلَاجِ دُونَ تَأْخِيرٍ.

(٣) مَنْ كَانَ لَدَيْهِ مَشْكَلَةٌ صَحِيَّةٌ مُزْمَنَةٌ كَالسُّكْرِيِّ أَوْ ضَغْطِ الدَّمِّ أَوْ مَرَضِ الْقَلْبِ أَوْ الْمَفَاصِلِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، يَقُومُ بِزِيَارَاتٍ دَوْرِيَّةٍ وَمَتَابَعَةٍ الْمَرَضِ وَالْعِلَاجِ عِنْدَ طَبِيبٍ مُخْتَصٍّ فِي هَذَا الْمَرَضِ الْمَزْمَنِ، وَعَلَى طَبِيبِ الْعَائِلَةِ أَنْ يُتَابَعَ الْمَرِيضُ أَيْضًا عَنْ طَرِيقِ الْإِطْلَاعِ عَلَى تَقْرِيرَاتِ الطَّبِيبِ الْمُخْتَصِّ الدَّوْرِيَّةِ.

(٤) مَنْ أَرَادَ خِدْمَةً صَحِيَّةً طَارِئَةً يَتَصَلَّ بِالْإِسْعَافِ، وَيَقُومُ أَقْرَبُ طَاقِمٍ إِسْعَافٍ بِتَقْدِيمِ الْعِلَاجِ الْأَوَّلِيِّ وَنَقْلِ الْمَرِيضِ إِلَى الْمُسْتَشْفَى فَوْرًا.

(٥) عَلَى الدَّوْلَةِ أَنْ تُنْشِئَ فِي كُلِّ عِمَالَةٍ

الحاكمُ إسنَادَ هذا الحديثِ ووافقه الذهبيُّ. ولفظُ تَطَبَّبَ في الحديثِ من التَّطَبَّبِ على وزنٍ تَفَعَّلَ، وهو يدلُّ على تَكَلَّفِ الشيءِ والدخولِ فيه بِكُلْفَةٍ، كَكُونِهِ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ، أَوْ كَوْنِهِ مِنْ أَهْلِ عِلْمِهِ النَّظَرِيِّ لَكِنَّهُ لَا يُحْسِنُ تَطَبِّقَهُ.

ولذلك كَانَ على الدولة الإسلامية أَنْ تَضَعَ معاييرَ يُعْلَمُ مِنْ خِلَالِهَا مَنْ هُوَ الطَّبِيبُ مَنْ غَيْرِهِ، وَأَنْ تَمْنَعَ مَنْ لَمْ تَتَطَبَّقْ عَلَيْهِ هَذِهِ المعاييرُ مِنْ مَزَاوِلَةِ الطَّبِّ. فَإِنْ تَكَلَّفَ مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ مَجَالِ عِلْمِهِ أَوْ تَخَصُّصِهِ فَأَضَرَّ بِالْمَرِيضِ فَإِنَّهُ يَكُونُ مَسْئُولًا عَنْ جَنَائِثِهِ، وَضَامِنًا بِقَدْرِ مَا أَحْدَثَ مِنْ ضَرَرٍ، لِأَنَّهُ يُعْتَبَرُ بِعَمَلِهِ هَذَا مُتَعَدِّيًا، وَيَكُونُ الضَّمَانُ فِي مَالِهِ. وَيُشْمَلُ مُسَاعِدُو الْأَطْبَاءِ مِنْ مُمَرِّضِينَ وَأَخْصَانِيٍّ أَشْعَةً أَوْ صَيَادِلَةٍ وَغَيْرِهِمْ فِي الْحُكْمِ بِالضَّمَانِ أَيْضًا عَلَى مَنْ مَارَسَ مِنْهُمْ المِهْنَةَ دُونَ أَهْلِيَّةٍ مُعْتَبَرَةٍ لِلْقِيَامِ بِهَا وَأَضَرَّ بِالْمَرِيضِ.

ولذلك تُقِيمُ الدولةُ لَجَنَةً مِنَ الْأَطْبَاءِ الْمُتَخَصِّصِينَ وَرِجَالِ التَّدْرِيسِ مُهْمَتَهُمْ وَضَعُ بَرْنَامِجٍ لِتَدْرِيسِ الطَّبِّ فِي الْجَامِعَاتِ، وَوَضْعُ الْحَدِّ الْأَدْنَى مِنَ الْمَوَادِّ الدِّرَاسِيَّةِ وَالْمَهَارَاتِ الْمَطْلُوبِ مِنَ الطَّبِيبِ أَنْ يُلِمَّ بِهَا وَيُتَقَنَّهَا حَتَّى يُمْنَحَ تَرْخِيصًا لِمَزَاوِلَةِ الطَّبِّ. وَتَوْضَعُ أَيْضًا بَرَامِجَ لِكُلِّ تَخَصُّصٍ طَبِّيٍّ مِنْ قَبْلِ الْمُتَخَصِّصِينَ فِي ذَلِكَ الْمَجَالِ لِمَنْحِ تَرْخِيصٍ بِمَزَاوِلَةِ تَخَصُّصَاتٍ مَعِينَةٍ مِنَ الطَّبِّ لِمَنْ يُتَقَنَّهَا، وَذَلِكَ كَالْجِرَاحَةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ وَطَبِّ الْأَطْفَالِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ، وَتَوْسَّسُ لَجَانٍ مُشَابِهَةٍ لِمَهْنِ التَّمْرِيزِ وَالصَّيْدِلَةِ وَبَاقِي الْمَوَاضِعِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالطَّبِّ.

أما الأطباء الذين درسوا الطب في جامعات

الناس عليه. وَفَضْلًا عَنْ ذَلِكَ، فَإِنَّ الرَّسُولَ ﷺ يَقُولُ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ مِنْ رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ وَأَبِي دَاوُدَ: «إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ ثُمَّ التَّفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ»، وَالتَّفَتَ هُنَا تَعْنِي أَنْ صَاحِبَ الْحَدِيثِ يَنْظُرُ حَوْلَهُ خَشْيَةً إِنْ يَتَسَمَعَ عَلَى حَدِيثِهِ أَحَدٌ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ أَنْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ هُوَ خَاصٌّ بِمَنْ يُحَدِّثُهُ، وَلِهَذَا كَانَ حَدِيثُهُ أَمَانَةً عِنْدَ مَنْ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ، وَحَدِيثُ الْمَرِيضِ لِلطَّبِيبِ هُوَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، أَيْ هُوَ أَمَانَةٌ لِأَنَّ الْمَرِيضَ يَخْصُ بِهِ الطَّبِيبُ وَلَا يَحِبُّ أَنْ يَطْلُعَ عَلَيْهِ أَحَدٌ غَيْرَ مَاذُونٍ لَهُ. وَأَيْضًا فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ عَنْهُ ﷺ قَالَ: «لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وَالتَّحَدَّثُ بِأَسْرَارِ الْمَرِيضِ مِنَ الْغَيْبَةِ لِأَنَّهُ ذَكَرَ لِلْمَرِيضِ بِمَا يَكْرَهُ، وَالْغَيْبَةُ مُحَرَّمَةٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا» (الحجرات: ١٢).

وَتُسْتَشْتَى مِنْ وَجُوبِ الْكُتْمَانِ الْمَعْلُومَاتِ الصَّحِيَّةِ الَّتِي قَدْ يُسَبِّبُ كُتْمَانُهَا ضَرَرًا عَلَى الْجَمَاعَةِ، كإخفاء مَرَضٍ مُعْدٍ أَوْ عَدَمِ التَّبْلِيغِ عَنْ مَرِيضٍ يُسَبِّبُ عَمَلُهُ خَطَرًا عَلَى الْجَمَاعَةِ، كَسَائِقِ طَائِرَةٍ أَوْ شَاحِنَةٍ مُصَابٍ بِالْصَّرَعِ، وَهَذَا مِنْ بَابِ مَنَعَ الضَّرَرِ وَإِزَالَتِهِ الَّذِي هُوَ وَاجِبٌ شَرْعًا. وَالِاسْتِثْنَاءُ هُنَا مُحْصُورٌ بِتَبْلِيغِ الْجِهَاتِ الَّتِي تُعَالِجُ هَذَا الضَّرَرَ الْمُحْتَمَلَ وَتَمْنَعُهُ، لَا بِتَبْلِيغِ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ.

تعليم الطب والتأهيل المهني والبحث العلمي

نهى الإسلامُ عَنْ مِمَارَسَةِ التَّطَبُّبِ مِمَّنْ لَمْ يُعْرِفْ مِنْهُ الطَّبِّ، فَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةَ عَنْ عُمَرَ بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ: «مَنْ تَطَبَّبَ وَلَمْ يُعْلَمْ مِنْهُ طَبٌّ قَبْلَ ذَلِكَ فَهُوَ ضَامِنٌ»، وَقَدْ صَحَّحَ

خارج الدولة الإسلامية فيُنظرُ، فإن كان قد عمل في الطب مدةً كافيةً في تلك الدولة بحيث اكتسب خبرةً ودرايةً في مجاله، مُنح ترخيصاً لمزاولة الطب، وإن لم يكن قد عمل مدةً كافيةً أُختبرَ في المواد الدراسية والمهارات المطلوبة ممن درّس الطب في الدولة الإسلامية، فإن اجتاز الاختبار مُنح ترخيصاً، وإلا فإنه يُدرّس ما ينقصه من المواد والمهارات حسب نتيجة الاختبار ثم يُمنح الترخيص.

ويتولى جهاز الحسبة منع أي شخص لم يحصل على الترخيص الملاثم من تقديم الخدمة الصحية، ولا يُكتفى بمجرد تضمينه الضرر الناتج عن فعله، بل يُعزّر بمقدار ما ادّعى من علم وممارس من مهنة لم يكن أهلاً لها، ويُعاقب ويُشهر به، لأن إدعاء الأهلية والعلم من الجاهل غش نهى عنه الشرع، فقد روى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «من غشنا فليس منا»، وفي حديث آخر عن أبي هريرة عند مسلم أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «من غش فليس مني».

كما وتهتم الدولة بتدريس المهارات الطبية الأساسية كالإسعافات الأولية والإنعاش القلبي في دورات خاصة ومجانية، وتكون هذه الدورات إلزامية لأفراد الشرطة والجيش والمعلمين في المدارس، واختيارية لباقي الرعاية. ويُقام جهاز خاص بالإرشاد الصحي يكون تابعاً لمصلحة الصحة ومُرتبطاً بمصلحة الإعلام وظيفته تقديم الإرشادات الصحية العامة للرعية عن طريق الإعلام، وتقديم الإرشادات الصحية الخاصة لكل قطاع وفق ما يلزمه، كالإرشادات الخاصة لعمال المناجم، والقوات

المسلحة، والسائقين وغيرهم. وَكَوْنُ علم الطب اليوم يتقدم بخطوات واسعة، فإن على الدولة أيضاً أن تحث الأطباء على مواصلة التتبع ودراسة كل ما يجد من اكتشافات أو اختراعات، حتى يتمكنوا من تقديم خير الخدمات الصحية وأكثرها تقدماً وتطوراً. ويكون ذلك عن طريق دعم وتشجيع النشرات العلمية الدورية وتوزيعها على الأطباء، وعن طريق المؤتمرات والدورات المكثفة الدورية للأطباء، كل في مجال تخصصه. وقد سَمَى الرسول ﷺ الجهل داءً، وجعل شفاءه السؤال والتعلم، ففي رواية أبي داود عن عطاء عن جابر قال: "خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ، فَأَصَابَ رَجُلًا مِنَّا حَجَرٌ فَشَجَّهَ فِي رَأْسِهِ، ثُمَّ اخْتَلَمَ، فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيْمَمِ؟ فَقَالُوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ. فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ، فَلَمَّا قَدَمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَ بِذَلِكَ فَقَالَ: قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ، أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا، فَإِنَّمَا شَفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِرَ - أَوْ يَعْصِبَ، شَكَّ مُوسَى - عَلَى جُرْحِهِ خُرْقَةً، ثُمَّ يَمْسَحَ عَلَيْهَا وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ»، والحديث حسنه الألباني. وَالْعِيُّ معناه الجهل، وألحق ﷺ بهم الوعيد بأن دعا عليهم وجعلهم في الإثم قتلة له، ولهذا كان على الأطباء أن يتعلموا ما هو جديد؛ لأن الجهل ببعض المستجدات الطبية قد يترتب عليه إلحاق أذى وضرر بالمريض.

ولا يُكتفى بمجرد تتبع ما هو جديد، بل على الدولة الإسلامية أن تكون في طليعة الدول في البحث والابتكار العلمي ومنه الطبي. وبالرغم من أنه لجميع أفراد الرعية الحق

وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ.

وعند الحاكم في المستدرک أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلَّا وَأَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، عِلْمُهُ مَنْ عِلْمُهُ، وَجَهْلُهُ مَنْ جَهْلُهُ»، وَقَالَ الْحَاكِمُ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرَجْهُ». وَقَوْلُهُ ﷺ أَنَّ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً، فِيهِ حَتْ عَلَى عَدَمِ الْيَأْسِ مِنْ اكْتِشَافِ الدَّوَاءِ أَوْ الْعِلَاجِ الْأَمْثَلِ لِأَيِّ مَرَضٍ.

وَقَدْ أَمَرَ الرَّسُولُ ﷺ الشِّفَاءَ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ أَنْ تَعْلَمَ حَفْصَةَ زَوْجَهُ رُقِيَةَ النَّمْلَةَ، فَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ عَنِ الشِّفَاءِ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا عِنْدَ حَفْصَةَ فَقَالَ لِي: "أَلَا تَعْلَمِينَ هَذِهِ رُقِيَةُ النَّمْلَةِ كَمَا عَلَّمْتَهَا الْكِتَابَةَ"، وَالنَّمْلَةُ هِيَ قُرُوحٌ تَخْرُجُ مِنَ الْجَنْبِ أَوْ الْجَنْبَيْنِ. وَفِي هَذَا الْأَمْرِ مِنْهُ ﷺ إِشَارَةٌ إِلَى تَدْرِيسِ عُلُومِ الطَّبِّ وَأَسَالِيْبِ الْعِلَاجِ.

وفي هذا المقام من المهم أن نذكر أن ما يُسمَّى بحقوق الطبع وبراءة الاختراع المتبعة في الأنظمة الرأسمالية، هي شروط غير شرعية، لا يجب الالتزام بها، لأن مقتضى عقد البيع في الإسلام، كما يُعطي للمشتري حق الملكية يُعطيه أيضاً حق التصرف بما يملك، وكل شرط مخالف لمقتضى عقد البيع باطل يكون المشتري في حل منه، ولو كان مائة شرط، فعن عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ بَرِيرَةَ أَتَتْهَا وَهَي مَكَاتِبَةٌ قَدْ كَاتَبَهَا أَهْلُهَا عَلَى تِسْعِ أَوَاقٍ، فَقَالَتْ لَهَا: إِنْ شَاءَ أَهْلُكَ عَدَدْتُهَا لَهُمْ عَدَةً وَاحِدَةً وَكَانَ الْوَلَاءُ لِي. فَاتَتْ أَهْلَهَا، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ

النتمة ص ٩٨

فِي إِنْشَاءِ الْمُخْتَبَرَاتِ الْعِلْمِيَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِكَافَةِ شُؤُونِ الْحَيَاةِ وَمِنْهَا الطَّبُّ، إِلَّا أَنَّهُ عَلَى الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَنْ تَقُومَ هِيَ بِإِنْشَاءِ هَذِهِ الْمُخْتَبَرَاتِ. وَتُهَيِّئُ الدَّوْلَةُ الْمَكْتَبَاتِ وَسَائِرَ وَسَائِلِ الْمَعْرِفَةِ فِي غَيْرِ الْمَدَارِسِ وَالْجَامِعَاتِ لِتُمَكِّنَ الَّذِينَ يَرْغَبُونَ مِنْ مُوَاصِلَةِ الْأَبْحَاثِ فِي الطَّبِّ وَسَائِرِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ، وَمِنْ مُوَاصِلَةِ الْإِخْتِرَاعِ وَالْإِكْتِشَافِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، حَتَّى يَوْجَدَ فِي الْأُمَّةِ حِشْدٌ مِنَ الْمُجْتَهِدِينَ وَالْمُبْدِعِينَ وَالْمُخْتَرَعِينَ، وَحَتَّى تُشَجِّعَ الْعُلَمَاءُ وَالْأَطِبَاءُ عَلَى بَذْلِ الْوَسْعِ فِي الْإِبْدَاعِ وَالْإِبْتِكَارِ لِتَحْقِيقِ السَّبْقِ فِي الْمَجَالِ الْعِلْمِيِّ.

إِلَّا أَنَّ الدَّوْلَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ تَخُصُّ بَعْضَ الْأَمْرَاضِ وَالْمَجَالَاتِ الطَّبِّيَّةِ بِمَزِيدِ دَعْمٍ لِلْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ فِيهَا، كَالْأَمْرَاضِ الْوَبَائِيَّةِ الْمُنْتَشِرَةِ أَوْ الْأَمْرَاضِ الْمُسْتَعْصِيَّةِ، دُونَ نَظَرٍ إِلَى الْمَرْدُودِ الْمَادِّيِّ مِنَ الْإِكْتِشَافَاتِ أَوْ الْإِبْتِكَارَاتِ الْعِلْمِيَّةِ فِي هَذِهِ الْمَجَالَاتِ.

وَتُنْشِئُ الدَّوْلَةُ صَنْدُوقَ جَوَائِزِ طَبِِّيَّةٍ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ يُكَافِئُ الْعُلَمَاءَ وَالْأَطِبَاءَ الَّذِينَ يَكْتَشِفُونَ الْعِلَاجَاتِ وَاللِّقَاحَاتِ، وَيُقَدِّمُ هَذَا الصَنْدُوقُ أَكْبَرَ الْجَوَائِزِ لِمُنْتَجِي الْعِلَاجَاتِ أَوْ سُبُلِ الْوَقَايَةِ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْأَخْطَرِ وَالْأَكْثَرِ انْتِشَارًا فِي الْعَالَمِ.

وَقَدْ حَثَّ الرَّسُولُ ﷺ عَلَى التَّدَاوِيِ، وَالبَحْثِ عَنِ الدَّوَاءِ، فَقَالَ عَلَيْهِ وَآلُهُ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ حِينَ سَأَلَهُ الْأَعْرَابُ عَنِ التَّدَاوِيِ: «نَعَمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً - أَوْ قَالَ دَوَاءً - إِلَّا دَاءً وَاحِدًا» قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُوَ؟» قَالَ: «الْهَرَمُ»، وَهَذَا حَدِيثٌ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ

القول

في وجوب انحاز المسلم

لقد كثر حديث المسلمين قديماً وحديثاً في أمر الصيام والإفطار، وهل أم أن لكل بلد رؤيته، ولا يلزم برؤية غيره -وهو القول المنقول عن ابن إليه، ولأننا نرى أن هذه المسألة ليست من الاجتهاد في شيء، فهي تُصادم

النسيئة قول خطأ، والقول بأن ليلة القدر قد تكون في غير رمضان هو قول خطأ، والقول بسلسلة حوادث لا أول لها هو قول خطأ، والقول بأن البيعة بالتعيين تصحّ هو قول خطأ، ومعنى أنها خطأ، أنها أقوال جاءت مصادمةً لنصوص صريحة صحيحة قطعية في دلالتها لا تحتمل اجتهاداً ولا تأويلاً، فهي ليست من الاجتهاد في شيء ولا قيمة شرعاً لها، بغض النظر عن عدد قائلها ومكانتهم (فكل ابن آدم خطاء).

ولو عدنا إلى المسألة محل النقاش لتبين لنا أن القول فيها واحد، ولا اعتبار فيها لأي خلاف أو اجتهاد لمصادمتها للأدلة، ومنها:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة ١٨٥].

بدايةً لا بد من التذكير بأنه ليس كلّ خلاف جاء معتبراً، إلا خلافاً له حظ من النظر، فلو أراد إنسان أن يجمع من كتب الفقه ومن أقوال الفقهاء وآرائهم ما يتصادم والنصوص الصريحة الصحيحة لجمع المجلدات، وما ذلك إلا لأنهم -ببساطة- بشرٌ ويصحّ عليهم ما يصحّ على سائر البشر، فليس كل خلاف في مسألة من مسائل الفقه محل اعتبار ونظر، وبخاصة تلك الآراء التي تُصادم النصوص، وكما قيل إن الاجتهاد في النص، ولا اجتهاد مع النص، بمعنى أن المسألة إذا جاء النص فيها لا يحتمل تأويلاً ولا اجتهاداً، تعيّن المصير إلى النص دون الالتفات إلى ما قيل في المسألة من أقوال. فالقول مثلاً بأن الربا لا يكون إلا في



يجب على المسلمين أن يتوحدوا صياماً وإفطاراً وإن تباعدت أقطارهم،
عباس عليه السلام -، وأدلى كل بدلوه متوسلاً بالأحاديث التي تؤيد رأيه وما ذهب
النصوص الصريحة الصحيحة، لذلك آثرنا الكتابة في موضعها.

على هذا الحمل أن يذهب المسلمون كلهم
لرؤية الهلال، وأما الثالث وهو القول بأن شهد
بمعنى حضر، فهو قول لبعض العلماء وهو
حضر بمعنى كون المكلف حاضر (مقيم) أي
ليس مسافراً، فهو قول صحيح لكن لا شأن
لنا به هنا في مسألتنا، أما الرابع وهو أن شهد
بمعنى علم فإن هذا المعنى هو الذي يتعين المصير
والذهاب إليه، ذلك بأن المعنى الذي ذهب إليه
عليه الصلاة والسلام ﴿وَمَا يَنْبُتُ عَنِ الْمَوْتِ ۝﴾
إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ۝﴾ فكان هذا المعنى هو
الذي بينه لنا عليه السلام بقوله وفعله، فإنه عليه السلام
قد صام وأفطر برؤية غيره دون تكلف، فإنه
قد اكتفى بأن قال لمن شهد عنده بالرؤية:
أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله،

وشهد في اللغة لها أربعة معانٍ:
الأول: بمعنى أخبر بالأمر وذلك كقولنا
(شهد فلان بكذا عند القاضي).
الثاني: بمعنى اطّلع وعاین وذلك كقولنا
(شهدت فلاناً يُصلي).
الثالث: بمعنى حضر وذلك كقولنا (شهد
عليّ عليه السلام بدراً).
الرابع: بمعنى علم وذلك كقول الله
تعالى ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرٍ مَا كُنْتُ
قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ۝﴾ [النمل ٢٢].
أما الأول وهو شهد بمعنى أخبر، فلا تعلق
له بالأية من قريب أو بعيد، أما الثاني فباطل
بالنقل والإجماع، وذلك لأنه يفيد بأن الصيام لا
يجب إلا على من رأى الهلال رؤى العين، فوجب

نعم. وذلك لأن هذا من الشهادة في حكم شرعي وهي لا تقبل إلا من مسلم.

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة ١٨٩].

والأهلة هي اثنا عشر هلالاً، والشهر هو ما بين الهلالين، فإذا رثي الهلال في بلد صح لنا أن نقول بأن الشهر الفلاني دخل، ويصبح ميقاتاً لنا في صيامنا وحجنا، ولعمري لو أن رجلاً خرج علينا بقوله إنه يرى ليلة القدر، «وهي الليلة التي نزل فيها القرآن، والتي جاء القرآن القطعي الدلالة والثبوت بأنها ليلة واحدة»، لو خرج علينا بقوله إنها ليست ليلة واحدة، بل ليالي عدة، أف يكون لقوله هذا أي اعتبار، أم يكون قولاً فاسداً كما لا يخفى؟ ولا أدل على فساده من أنه لم يقل به أحد من المسلمين فضلاً عن علمائهم.

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء ٥٩].

والردُّ إلى الله معناه الردُّ إلى كتابه بمعنى أن يكون المحكم قاضياً على المتشابه والناسخ قاضياً على المنسوخ وهكذا، فلا محل مثلاً للاستدلال بآية الوصية في الميراث مع نسخها بآية الموارث، ونسخ ثبوت الواحد للعشرة، بثبوت الواحد للثنتين بقوله تعالى: ﴿أَكْثَنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال ٦٦] وغير ذلك كثير.

أما الرد إلى الرسول ﷺ فإن المقصود

منه، أنه يتعين على المسلم الذي يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقف عند فعله ﷺ وقوله الذي بينه لنا، ومن ذلك أنه ﷺ لرفع الإشكال والإجمال في حديث: «صُومُوا لِرُؤْيَيْهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَيْهِ»... الحديث.

بين لنا ذلك بفعله، فقد صام وأفطر برؤية غيره. فضلاً عن أن الحديث ليس فيه ذكر لاختلاف المطالع ولا أن لكل بلد رؤيته، بل إن كل ذلك من التقول على الحديث وتحمله ما لا يحتمل سيما أن الحديث ورد مبيئاً مفسراً من رواية كريب نفسه وهو الحجة والفصل.

الدليل الرابع: قال البيهقي في سننه، أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أنبأنا أحمد ابن عبيد، حدثنا عبيد بن شريك، حدثنا بن أبي مريم، أنبأنا محمد بن جعفر، أخبرني محمد بن أبي حرملة، أخبرني كريب أنه سمع ابن عباس يقول: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نصوم لرؤية الهلال ونفطر لرؤيته فإن غم علينا أن نكمل الثلاثين» فهذا هو حديث كريب نفسه اختصره بعض الرواة بقوله «هكذا أمرنا رسول الله ﷺ» ولم يزد.

والواقع أن ابن عباس قاله مفسراً ويدل على ذلك أن الراوي لحديث كريب الذي احتجوا به هو نفس الراوي لهذا الحديث المفسر وهو محمد بن أبي حرملة، ويدل على هذا أن مسلماً في روايته ساق الحديث بقوله: عن محمد -وهو ابن أبي حرملة- عن كريب أن أم الفضل... وذكر الحديث.

وبذلك يتعين المصير إلى الحديث المفسر دون الحديث المجمل، وهذا من الزيادة المقبولة، سيما وأن الراوي للحديث هو نفسه محمد بن أبي حرملة.

الدليل الخامس: لنعد قليلاً لقراءة الحديث الذي رواه كريب، والذي استدل به القوم على أنه حجة لهم، وليس الأمر كذلك،

عازب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما بالبقيع فنظر إلى الهلال فأقبل راكب فتلقاها عمر فقال: من أين جئت قال: من المغرب، قال: أهَلَّتْ...؟ (أي هل رأيت الهلال) قال: نعم، قال عمر: الله أكبر، إنما يكفي المسلمين الرجل)). ورواه الدارقطني بمعنى قريب من هذا المعنى، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد فهم من الحديث خلاف ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو الفهم الذي ندين الله به، ولا نرى غيره، وحجتنا الآيات والأحاديث الصحيحة الصريحة.

وهنا مسألة هامة: ذكرها علماء الفلك في جامعة الملك عبد العزيز، قالوا بعد كلام طويل: (وإذا أخذنا بالقول الشرعي بأنه إذا اشترك بلد مع آخر بليل، فإنه يؤخذ برؤية البلد الآخر ويصومان ويفطران معاً، وعلى هذا الأساس، فإن جميع بلدان العالم الإسلامي يجب أن تصوم وتفتطر في يوم واحد لأنها جميعاً تشترك مع بعضها البعض بليل).

وأخيراً فإن القول باختلاف المطالع ذريعة للحكام المتلاعبين بالدين، النابذين له وراء ظهورهم، لكي يُفَرِّقُوا الأمة تبعاً لإبراز شخصياتهم على غيرهم من الحكام - وإن رئي الهلال- بحجة أنهم لم يروه في بلادهم التي قسمها الكافر المستعمر بعد احتلالها، وإلا فأى دين وأي فقه هذا الذي جعل الحكم الشرعي تابعاً للحكام؟ فاليمن مثلاً كانت مَطْلَعِينَ قبل الوحدة ثم أصبحت بعد الوحدة مطلعاً واحداً، والضفة الغربية كان مطلعها مع الشرقية قبل فك الارتباط، ثم بعد فك الارتباط وأوسلو أصبحت مَطْلَعِينَ.

فليتق الله هؤلاء الذين يتسمون بالعلماء الذين -والله- يُرْسِخُونَ التقسيم في بلاد المسلمين تبعاً لحكامهم الذين لم ينظروا للأمر إلا مطاوعةً لـ(سايكس - بيكو) وليس مطاوعةً للحكم الشرعي □

فإن كريياً قد سأل ابن عباس رضي الله عنهما أولاً تكفي برؤية معاوية وصيامه..؟ فقال: لا، هكذا أمرنا رسول الله ﷺ.

فإن الحديث مشتمل على موقوف ومرفوع فأما الموقوف فهو عدم قبول ابن عباس خبر كُرب وعدم موافقته معاوية في صيامه وإفطاره وأما المرفوع فهو «هكذا أمرنا الرسول ﷺ».

والحديث الموقوف حجة على صاحبه ليس غير، كما هو معلوم عند أهل الصنعة، وهو ليس من الأدلة المعتبرة شرعاً.

الدليل السادس: قوله ﷺ: «صُومُوا لِرُؤْيَيْهِ وَأَفْطَرُوا لِرُؤْيَيْهِ، فَإِنْ غَمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمَلُوا الْعِدَّةَ ثَلَاثِينَ».

وهذا الحديث من أصرح ما جاء في ضرورة اتحاد المسلمين في صومهم وفطرمهم، ذلك أن قوله ﷺ: «صُومُوا وَأَفْطَرُوا» إما أن يكون للحاضرين معه، وإما أن يكون لمجموع أمته، ولا يحتمل لغة غير هذا.

أما الاحتمال الأول فباطل ولم يقل به أحد، ذلك أن خطاب الرسول خطاب لأمته كلها، لا يخص به فرد أو مجموعة، إلا أن يأتي دليل يدل على التخصيص، فلم يبق إلا أن يكون الخطاب لأمته غير مخصص.

هذا في قوله «صُومُوا وَأَفْطَرُوا» أما قوله «فَإِنْ غَمَّ عَلَيْكُمْ» فإنه قد علق الأمر بأداة الشرط «إِنْ» فكأنه قال (صوموا إلا أن يُغَمَّ عليكم الهلال) وهو لم يُغَمَّ علينا مع رؤية بعضنا، وكذلك فإن الفعل الماضي غَمَّ هو فعل ماض مبني للمجهول، وكان القول أصبح (أيها المسلمون، إذا رأى الهلال أي واحد منكم فيلزمكم برؤيته الصيام والإفطار).

الدليل السابع: روى البيهقي من طريق ورقاء بن عمر عن عبد الأعلى الثعلبي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: ((كنت مع البراء بن

مع القراءة الكريم

﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (٢٣٨) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ .

اللَّهُ يَغْفِلُ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٢٤١﴾ البقرة/ آية ٨٥-٨٦.

وبيّن الله سبحانه في هذه الآيات ما يلي:

١. يأمر الله بالمحافظة على الصلوات ويخص منها الصلاة الوسطى، ويأمرنا كذلك بأن نؤدي الصلاة خاشعين لا نتكلم فيها ما ليس منها.

﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ أي أدوها في أوقاتها بأركانها وأحكامها. أخرج البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه، واللفظ للبخاري، قال: «سألت رسول الله ﷺ، قلت يا رسول الله: أي العمل أفضل؟ قال: الصلاة على ميقاتها، قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله، فسكت عن رسول الله ﷺ ولو استزدته لزداني».

﴿وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ ذكرت عدة روايات عما هي الصلاة الوسطى، فقد قيل الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء وغيرها، وبالبحث فيها يتبين أنه لم يرد أحاديث عن رسول الله ﷺ إلا في صلاة العصر وصلاة الظهر أما غير هاتين الصلاتين فوردت عنها روايات موقوفة على الصحابة - رضوان الله عليهم - وقول الصحابي رأي له وليس دليلاً شرعياً، ولذلك سنترك بحثها.

ونستعرض الآن الأدلة الشرعية الواردة في العصر وتلك الواردة في الظهر لنرى الرأي الراجح في الصلاة الوسطى.

أولاً: أخرج مسلم من حديث علي - كرم الله وجهه - : «أنه ﷺ قال يوم الأحزاب:

هاتان آيتان في الصلاة أنزلهما الله خلال آيات الزواج والإيلاء والطلاق والخلع والأولاد والاسترضاع ... ومما يستفاد من نزولها خلال خضم هذه الأحداث:

أولاً: أن لا ينسى المرء المحافظة على الصلاة خلال الأحداث التي تمر معه في حياته مع الزوجة والأولاد، فلا تتسبب مشاكله عماد دينه، الصلاة لله الواحد الأحد فهي ركن للإسلام عظيم.

والثاني: إن الاهتمام بالصلاة والفروع إليها أمر مهم في الإسلام وبخاصة عندما تتعاظم المشاكل والأحداث، وقد كان رسول الله ﷺ يفرع إلى الصلاة كلما أهمه أمر فضلاً عن أن الصلاة تقرب الإنسان من ربه وتقوي دافع التقوى عنده فيتقوى الله ربه عند تعامله مع الزوجة والأولاد فيضفي على المعاملات تحرياً للحق ووقوفاً عنده في النكاح والطلاق والأولاد فيبتعد عن الظلم والإضرار بالآخرين.

الثالث: أن يتذكر المرء دائماً أن هذا الإسلام العظيم لا يفصل بين الدين والسياسة، لا يفصل بين العبادات والمعاملات أو ما يسمونه بالأحوال الشخصية أو الجهاد وبيعة الخليفة وغير ذلك، فلا فرق بين حكم وحكم ولا بين واجب وواجب، فالذي بين أحكام الزواج والطلاق والاسترضاع هو الذي بين أحكام الصلاة أو الجهاد أو الزكاة فكلها من عند الله لا يصح فصلها عن بعض ولا الإيمان ببعض دون بعض ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا

شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملاً
الله تعالى بيوثهم ناراً» (مسلم).

وأخرج الترمذي عن سمرة: «أن رسول الله ﷺ سئل عن الصلاة الوسطى فقال: هي العصر» (الترمذي وقال حديث حسن صحيح).

ثانياً: أخرج أحمد وأبو داود بسند جيد عن زيد بن ثابت قال: «كان رسول الله ﷺ يصلي الظهر بالهجرة ولم تكن صلاة أشد على الصحابة منها فنزلت ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾» (أحمد وأبو داود).

وبدراسة هذه الأدلة يتبين أن المجموعة الأولى من الأحاديث صريحة في تسمية الرسول ﷺ أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، وفي المجموعة الثانية أن الصحابي يذكر أن سبب نزول الآية بخصوص صلاة الظهر.

والمجموعة الأولى أقوى في الدلالة على الموضوع لأنها نص صريح فيه فترجح على الثانية.

صحيح أن سبب النزول أرجح في تعيين المطلوب لو كانت الأحاديث الأولى محتملة لكنها نص صريح في المسألة، ولذلك فالراجح أنها صلاة العصر. وقد وردت فيها أحاديث تؤكد فضلها.

فقد ورد عن رسول الله ﷺ: «من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله» (مسلم والنسائي وأحمد). وقال ﷺ: «بكروا بالصلاة في يوم الغيم فإنه من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله» (البخاري، النسائي، ابن ماجه).

بذلك تكون في الآية ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ ذكر الخاص بعد العام، فقد أمر الله سبحانه بالمحافظة على الصلوات وخص منها الصلاة الوسطى لحكمة يعلمها سبحانه.

﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (٢٣٦) أي خاشعين بدون كلام من غير الصلاة. أخرج البخاري ومسلم عن زيد بن أرقم قال: «كنا نتكلم على عهد

رسول الله ﷺ حتى نزلت ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (٢٣٦) فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام» (البخاري ومسلم).

وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «أتيت النبي ﷺ وهو يصلي فسلمت عليه فلم يرد علي، فلما قضى الصلاة قال: إنه لم يمنعني أن أرد عليك السلام إلا أنا أمرنا أن نقوم لله قانتين لا نتكلم في الصلاة» (تفسير الطبري، الدر المنثور، النسائي).

٢. وفي الآية الثانية يبين الله سبحانه كيفية الصلاة في شدة الخوف، فإن الله سبحانه يبين هيئة الصلاة في ثلاث حالات:

الأولى: الصلاة المعتادة في الظروف الآمنة من وجوب أداء أحكامها بشروطها وأركانها، فيتمم القيام والقراءة والركوع والسجود وباقي ما يجب منها حسب الأحكام الشرعية المتعلقة بالصلاة.

والثانية: أن يكون هناك خوف من عدو وخشية من مهاجمته للمسلمين ووجوب الحراسة حتى لا يؤخذ المسلمون على غرة.

فأمر الله سبحانه بالصلاة في هذه الحالة بكيفية خاصة بينتها آية النساء ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتَمَّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَحَدَّ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (النساء/آية ١٠٢)

التي نزلت في غزوة ذات الرقاع في شهر جمادى الأولى السنة الرابعة للهجرة كما روى بيانها ابن إسحاق طبقاً لما ذكره ابن هشام في سيرته عنه.

روى الجماعة إلا ابن ماجه عن الصلاة التي صلاها الرسول ﷺ بالمسلمين في ذات الرقاع: «أن طائفة صفت معه وطائفة

وَجَاءَ الْعَدُو، فَصَلَّى بِالنَّاسِ مَعَهُ رُكْعَةً ثُمَّ ثَبَتَ قَائِمًا فَأَتَمُّوا لَأَنْفُسِهِمْ ثُمَّ انصَرَفُوا وَجَاءَ الْعَدُو، وَجَاءَتِ الطَّائِفَةُ الْآخَرَى فَصَلَّى بِهِمُ الرُّكْعَةَ الَّتِي بَقِيَتْ مِنْ صَلَاتِهِ فَأَتَمُّوا لَأَنْفُسِهِمْ فَسَلَّمَ بِهِمْ» (البخاري، مسلم، أبو داود، النسائي).

وهناك أحاديث أخرى صحيحة بكيفيات أخرى وكلها تصح ما دامت الأحاديث الواردة فيها صحيحة على أن تنفذ الصلاة على وجوهها الواردة في الأحاديث.

أما الثالثة: ففي حال الالتحام مع العدو، وهنا حالتان:

أ. إن كان الخوف شديداً أي أن العدو يهاجم المسلمين والترقب والمناورة في المعركة مستمرة، وأمكن الصلاة من الجند راجلين أو راكبين بالإيماء - تخفيض الرأس في السجود أكثر من الركوع - إن أمكن ذلك صلوا هذه الصلاة - صلاة الخوف الشديد - كما جاء في آية البقرة ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فِرَاجًا أَوْ رُكْبَانًا﴾.

أخرج ابن ماجة عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أن النبي صلى الله عليه وسلم وصف صلاة الخوف وقال: فإن كان الخوف أشد من ذلك فرجالاً أو ركباناً» (ابن ماجة، الموطأ) أي أن الرسول صلى الله عليه وسلم وصف صلاة الخوف في سورة النساء ثم أضاف إن كان الخوف خوفاً أشد فرجالاً أو ركباناً إشارة إلى آية البقرة.

وهذا الحديث هو في البخاري في تفسير سورة البقرة بلفظ «فإن كان الخوف أشد من ذلك فصلوا رجالاً قياماً على أقدامهم أو ركباناً مستقبلي القبلة وغير مستقبلها» (البخاري، الموطأ) ثم أضاف البخاري قال مالك قال نافع: لا أرى عبد الله بن عمر ذكر ذلك إلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ب. إن كان الالتحام أشد وتحسب القتال من العدو أكبر حتى يخشى توقع الهلاك لو شغل الجند عن القتال بالصلاة حتى ولو بخفض الرأس أي إيماء، ففي هذه الحالة يجوز تأخير

الصلاة حتى تزول هذه الحالة كما حصل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الأحزاب، فقد أخرج الشافعي بإسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «حبسنا يوم الخندق حتى ذهب هوي من الليل حتى كفيينا القتال وذلك قوله تعالى: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالاً فأمر فأقام الظهر فصلاها كما كان يصلي، ثم أقام العصر فصلاها كذلك، ثم أقام المغرب فصلاها كذلك، ثم أقام العشاء فصلاها كذلك. وفي لفظ فصلى كل صلاة ما كان يصليها في وقتها» (الأم، ابن خزيمة، الدارمي).

ولا يقال هنا إن هذا كان قبل نزول آية النساء في صلاة الخوف لأن الخندق كان في السنة الخامسة للهجرة وآية النساء في غزوة ذات الرقاع السنة الرابعة للهجرة، ولذلك فلكل حالة صلاتها كما بيناه.

وكما حدث في واقعة (تستر) مع الفرس، فقد روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه "حضرت مناهضة حصن تستر عند إضاءة الفجر واشتد اشتعال القتال فلم يقدروا على الصلاة، فلم نصل إلا بعد ارتفاع النهار فصليناها ونحن مع أبي موسى ففتح لنا، قال أنس: وما يسرنى بتلك الصلاة الدنيا وما فيها» (البخاري، كتاب الجمعة: باب الصلاة عند مناهضة الحصون).

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فِرَاجًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ أي إن خفتم أن تصلوا قياماً بالأرض فصلوا رجالاً أي راجلين أو ركباناً أي راكبين حسب وضعكم، وهذا الحذف على نحو قولهم (إن خيراً فخير وإن شراً فشر) أي (إن تفعل خيراً، وإن تفعل شراً).

﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ أي إذا زال خوف العدو فصلوا الصلاة المعتادة واشكروا الله على نعمه والتيسير عليكم في الصلاة وتعليمكم ما لم تكونوا تعلمونه □

بسم الله الرحمن الرحيم

سيد الأنصار «سعد بن معاذ» رضي الله عنه مكرم عند ربه

- أخرج ابن سعد عن عاصم بن قتادة قال: فنام رسول الله ﷺ فأتاه ملك -أوقال جبريل- حين استيقظ، فقال: من رجل من أمتك مات الليلة، استبشر بموته أهل السماء؟ قال: «لا أعلم إلا أن سعداً أمسى دنفاً (مريضاً)، ما فعل سعد؟» قالوا: يا رسول الله، قد قبض، وجاءه قومه فاحتملوه إلى ديارهم، قال: فصلى رسول الله ﷺ الصبح، ثم خرج ومعه الناس، فبث الناس مشياً حتى إن شسوع نعالهم لتتقطع من أرجلهم، وإن أرديتهم لتقع عن عواتقهم، فقال له رجل: يا رسول الله، قد بتت الناس، فقال: «إني أخشى أن تسبقنا إليه الملائكة كما سبقتنا إلى حنظلة».

- وأخرج ابن سعد أيضاً عن سلمة بن أسلم قال: رأيت رسول الله ﷺ ونحن على الباب نريد أن ندخل على أثره، فدخل رسول الله ﷺ وما في البيت أحد إلا سعد مسجى، قال، فرأيت يتخطى، فلما رأيته وقفت وأومأ إلي: قف، فوقفت ورددت من ورائي، وجلس ساعة ثم خرج، فقلت: يا رسول الله، ما رأيت أحداً، وقد رأيته تتخطى، فقال رسول الله ﷺ: «ما قدرت على مجلس حتى قبض لي ملك من الملائكة أحد جناحيه فجلست» ورسول الله ﷺ يقول: «هنيئاً لك أبو عمر! هنيئاً لك أبو عمر! هنيئاً لك أبو عمر!».

- وأخرج البزار عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد نزل لسعد بن معاذ سبعون ألف ملك، ما وطئوا الأرض قبلها» وقال ﷺ حين دفن: «سبحان الله!! لو انفلت أحد من ضغطة القبر لا نفلت منها سعد».

- وعند ابن سعد عن سعد بن إبراهيم قال: لما أخرج سرير سعد، قال ناس من المنافقين: ما أخف جنازة سعد -أو سرير سعد- فقال رسول الله ﷺ: «لقد نزل سبعون ألف ملك شهدوا جنازة سعد -أو سرير سعد- ما وطئوا الأرض قبل اليوم».

- وعند ابن سعد أيضاً عن الحسن قال: لما مات سعد بن معاذ رضي الله عنه -وكان رجلاً جسيماً جزلاً (تام الخلق)- جعل المنافقون وهم يمشون خلف سريرته يقولون: لم نر كالاليوم رجلاً أخف، وقالوا: أتدرون لم ذاك؟ ذاك لحكمه في بني قريظة، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «والذي نفسي بيده، لقد كانت الملائكة تحمل

سريره» □



جمهورية بنت الحارث

إعداد: محمد الشمالي

بنو المصطلق

وكم من مغرور أمثال الحارث في الماضي

والحاضر يحاول أن يهدم هذا الدين، ويتعرض
للدعوة وأصحابها وأتباعها بالتسلط والإيذاء،
فلا يلبث أن يزول وينتهي، على صورة العبرة
والموعظة، والدرس البليغ لغيره من بعده.

القائد المظفر الناجح ﷺ

إن التحليل الموضوعي الصادق لشخصية
النبي ﷺ من الناحية القيادية العسكرية
يثبت دون أدنى ريب أنه كان على أعلى
المستويات في هذا المضمار.

فقد أرسل عليه الصلاة والسلام أحد
أعوانه ممن كان يكلفهم مهمات الاستطلاع،
أن يستطلع ويستكشف أحوال وأخبار الحارث
بن أبي ضرار، وجيشه الذي يعده، وخطته
التي ينوي اتباعها، لتكون خطة النبي ﷺ
بالمبادأة والمفاجأة ناجحة ومؤكدة المظفر بإذن

هم نضر من قبيلة خزاعة، أصحاب بأس
وشدة وكثرة عدد.

ولقد عز على زعيمهم الحارث بن أبي
ضرار أن يرى محمد بن عبد الله ﷺ
يلبغ المكانة الرفيعة بين العرب، وأن يتبوأ
تلك المنزلة السامية، وأن يشتد ساعده مع
أنصاره وأصحابه إلى درجة كبيرة جعلت
كل الجزيرة العربية، من أدناها إلى أقصاها
ترهب جانبه وتدين له بالطاعة. عزّ عليه ذلك
وثار عنجهيته الجاهلية وخطرتسته القبلية،
فقام بهم إلى المدينة لقتال المسلمين في عقر
دارهم. قرر ذلك دون أدنى تقدير لما يمكن أن
تجره عليه وعلى قبيلته هذه النزوة الجاهلية،
والعصبية العشائرية الجياشة، حباً بالزعامة،
ورغبةً بالتسلط والسيطرة.

الله تعالى.

المعركة

وبعد أن أتم رسول الله ﷺ استعداداته، خرج على رأس جيش المسلمين إلى ديار بني المصطلق لمفاجأتهم، كان ذلك في شهر شعبان من السنة الخامسة من الهجرة.

والتقى الجيشان في مكان يسمى المريسيع، بعد أن خرج بنو المصطلق سريعاً لملاقاة المسلمين الذين نزلوا ديارهم وباغتوهم. ودعاهم الرسول ﷺ إلى الإسلام فأبوا واستكبروا بغير الحق، ثم نشب القتال ترامياً بالنبال وتراشقاً بالسهام، ثم جردت السيوف من أغمادها والتحم الفريقان في قتال مريع شديد، وأسفر عن هزيمة بني المصطلق هزيمة منكرة، ووقع أكثرهم أسرى في أيدي المسلمين، ولقد بلغ عددهم ما يزيد على سبعمائة، كما غنم المسلمون كثيراً من الإبل والشيء.

وفر الحارث مع قلة من أصحابه لا يلوي على شيء ولا يهتدي إلى طريق، فروقد ضاعت آماله، وانهارت قصوره وأوهامه وأحلامه التي زينها له شيطانه وجهله. وكان أعز شيء عليه أن تقع ابنته في الأسر مع من وقع من أصحابه وتسبى. لكن نجاته من الموت والأسر، كانت تخفف عنه بعض أحزان قلبه وأساه.

بيرة الأسيرة

وكان من بين الأسرى ابنة الحارث وتدعى بيرة وهي نفسها جويرية رضي الله عنها وسنأتي إن شاء

الله على سبب تغيير اسم بيرة إلى جويرية.

كانت بيرة زوجة لأحد رجال بني المصطلق الذين قتلوا في تلك المعركة، واسمه مسافع بن صفوان.

حديث عائشة رضي الله عنها

ولنترك الحديث الآن إلى السيدة عائشة رضي الله عنها فهي أولى بإتمامه وتفصيله منا وأصدق لهجة.

قالت أصاب رسول الله ﷺ نساء من بني المصطلق فأخرج الخمس منه، ثم قسمه بين الناس، فوقعت جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار في سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري وكانت تحت ابن عم يقال له مسافع بن صفوان بن مالك بن جذيمة ذو الشعر، فقتل عنها. فكاتبها الحارث بن قيس على نفسها على تسع أواق، وكانت امرأة جميلة، لا يكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه.

فبينما النبي ﷺ عندي، إذ دخلت عليه جويرية تسأله في كتابتها، فوالله ما هو إلا أن رأيته فكرهت دخولها على النبي ﷺ، وعرفت أنه سيرى منها الذي رأيت، فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث سيد قوم، وقد أصابني من الأسر ما قد علمت، فوقع في سهم ثابت بن قيس بن شماس فكاتبني على تسع أواق، فأعني على فكاكي. فقال رضي الله عنه: أو خير من ذلك؟! فقالت: ما هو؟ قال: أؤدي عنك كتابك وأتزوجك.. قالت (قول

المؤمنة بالله تعالى وبرسوله): نعم يا رسول الله... فقال رسول الله ﷺ قد فعلت.

الخبر العظيم

نعود إلى حديث عائشة رضي الله عنها فتقول متابعة الحديث:

وخرج الخبر إلى الناس فقالوا أصهار رسول الله ﷺ يسترقون؟ فأعتقوا ما كان بأيديهم من سبي بني المصطلق فبلغ عتقهم مائة أهل بيت بتزويجه إياها. فلا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها.

اخترت الله ورسوله

وعلم أبوها الحارث بن أبي ضرار وهو في مكة لاجئاً عند قريش بما كان شأنها مع رسول الله ﷺ وزواجه منها، وكيف تحرر أكثر بني المصطلق بسبب بركتها، فأراد أن يأتي إلى رسول الله ﷺ ليباحثه في أمرها ويفتديها، فجمع إبلاً كثيرة وقدم إلى المدينة، فلما كان في ضاحية منها، أعجبه بعيان مما معه فعزلها في ناحية وأخفاها عن أعين الناس.. وعندما أذن له بالحضور وأمن على نفسه وجلس بين يدي رسول الله ﷺ، قال: يا محمد... إن ابنتي لا يسبى مثلها، فأنا أكرم من ذلك، فخلّ سبيلها..! فأجابه رسول الله ﷺ مبتسماً: أرايت إن خيرناها... أليس قد أحسنّا. فقال الحارث: بلى، وأديت ما عليك.

فأتاها أبوها وهي في حجرتها من بيوت أزواج النبي ﷺ ومعه رسول الله، فقال لها:

يا ابنتي إن هذا الرجل قد خيرك فلا تفضحينّا.. فقالت: إني قد اخترت الله ورسوله... فقال لها: قد والله فضحتنا... وخرج من عندها...

إسلام الحارث

ولم يغادر الحارث المدينة إلا وقد أسلم... وسبب ذلك أن رسول الله ﷺ سأل عن عدد الإبل التي جاء بها ليقدمها فدية لابنته، فذكر العدد، فسأله رسول الله ﷺ عن البعيرين الذين أخفاهما في الضاحية؛ عندئذ تيقظ وجدان الحارث، وأدرك أنه أمام نبي يوحى إليه؛ فاستسلم وأقسم أنه لم يعلم أحداً من خلق الله بأمر هذين البعيرين، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت يا محمد رسول الله. وبإسلام الحارث سيد قومه تظهر بركة هذا الزواج وقيمته في الدعوة الإسلامية.

من برة إلى جويرية

روى سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كانت جويرية بنت الحارث تدعى برة، فحول رسول الله ﷺ اسمها فسمّاها جويرية لأنه كان يكره أن يقال خرج من عند برة. وتلك لطائف من أخلاق المصطفى ﷺ وسمو سجايها.

الصوامة القوامة في بيت النبوة

يروى عن تقواها رضي الله عنها كثير من الوقائع التي تدل على تغلغل الإيمان والإسلام في أعماق قلبها وفي صميم وجدانها؛ فقد صلى رسول الله ﷺ ذات ليل الفجر، ثم خرج من عندها،

فجلس حتى ارتفع الضحى، ثم جاءها في بيتها وهي لا تزال في مصلاها، حيث أدت فريضة الفجر خلفه، فقالت: مازلت بعدك يا رسول الله دابة، فقال عليه الصلاة والسلام: ولقد قلت بعدك كلمات لو وزنَ لرجحَنَ بما قلت: سبحان الله عدد خلقه، وسبحان الله رضى نفسه، وسبحان الله زنة عرشه، وسبحان الله مداد كلماته.

ويروي أيضاً عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ دخل على جويرة بنت الحارث يوم جمعة وهي صائمة فقال لها: أصمت أمس؟ فقالت: لا... قال: أفتردين الصوم غداً؟ قالت: لا... قال: فأفطري إذاً.

بينها وبين زوجاته رضي الله عنهن

المرأة هي المرأة في كل زمان ومكان، قد ركب الله سبحانه وتعالى فيها غرائز معينة محددة، فهي تتسلل في الإنسانية والبشرية منذ حواء إلى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ولقد سبق لنا أن تحدثنا في أكثر من مناسبة عن عاطفة الغيرة التي كانت تثور وتتفاعل في نفوس زوجات النبي ﷺ إحداهن تغير من الأخرى... ومن الجديدة دائماً على وجه الدقة.

ونحب أن نقول بأن تلك الغيرة قد تهابت كثيراً، وخفت حدتها بفضل توجيهات الرسول الكريم ﷺ. ولقد جاءت جويرة رضي الله عنها ذات يوم ولم يكن قد مضى على زواجها إلا

أيام قلائل إلى رسول الله ﷺ وسيماء الحزن والأسى بادية على عينيها الدامعتين، ثم قالت: يا رسول الله، إن نساءك يفخرن علي، يقلن لم يتزوجك رسول الله ﷺ. فهدد عليه الصلاة والسلام من ثورة نفسها، وطمأن من حدة غضبها وحزنها، وقال لها: ألم أعظم صداقك؟ ألم أعتق أربعين من قومك؟ فسكتت جويرة رضي الله عنها سكوت الرضى.

ولقد أصبحت رضي الله عنها بإكرام النبي ﷺ لها درة ثمينة في عقد زوجاته الفاضلات. وضرب عليها الحجاب مثلن، وفرض عليها ما فرض عليهن من الواجبات، ولها ما لهن من الحقوق. وكان يقرع لها مثلن في الخروج معه ﷺ في الغزوات، والحج والعمرة، وكذلك كان يسهم لها فيما يحصل عليه المسلمون من غنائم.

وقد ذكر أن رسول الله ﷺ قد أطعم جويرة يوم خيبر ثمانين وسقاً تمرأً، وعشرين وسقاً قمحاً.

بعد رسول الله ﷺ

اشتدت العلة برسول الله ﷺ فاستأذن من نساءه ومن بينهن جويرة أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها فأذن له.

وكانت جويرة تأتي وتمكث للاطمئنان عليه، وحين تخلو بنفسها في حجرتها تبكي وتتألم، وتسأل الله تعالى أن يخفف ما برسول الله ﷺ من ألم المرض. فلما كان يوم وفاته

الأمة برؤوس الشياطين. فوقفت جويرية رضي الله عنها في الخصومات موقف المحايدة الحريصة على وحدة الأمة وترباطها وتماسكها، فكانت لا تصدر في أقوالها وأفعالها إلا عن دعوة إلى الخير والمحبة والسلام، فلا تناصر فئة على فئة، ولا تقف إلى جانب جماعة دون أخرى. اعتزلت يوم الجمل بعد استشهاد عثمان رضي الله عنه بل وجهت النصيحة إلى عائشة رضي الله عنها كما فعلت أم سلمة وغيرهما من أمهات المؤمنين. وكانت رضي الله عنها تدعو إلى الله أن يحجب دماء المسلمين وأرواحهم. وكذلك فعلت بعد استشهاد علي رضي الله عنه، كرم الله وجهه، لقد لظمت دارها وألظمت نفسها موقف الحق والعدل، وحب المسلمين جميعاً.

وفاتها رضي الله عنها

ولما أطل شهر ربيع الأول من العام السادس والخمسين للهجرة، كانت جويرية رضي الله عنها قد شاخت، ووهن منها العظم وضعفت ووقعت تحت وطأة المرض الذي لم ينفع معه علاج، ثم وافتها المنية وانتقلت إلى جوار الكريم، وصلى عليها والي المدينة يومئذ مروان بن الحكم، وكانت جنازتها مشهودة.

رضي الله عن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث الحسيبة النسيبة، الطاهرة العفيفة، التقية النقية، الصومامة القوامه، المتصدقة الكريمة، وأكرم الله نزلها ومثاها □

عليه الصلاة والسلام ولحقه بالرفيق الأعلى، كانت جويرية بين الحضور، بل كانت أدنى الناس من فراشه، تتأمل الوجه الشريف، ثم تبكي، ولكن دون نحيب أو عويل.

وعاد كل إلى داره ومأواه... وعادت جويرية إلى حجرتها، وإلى وحدتها، وليس لها من أنيس أو جليس سوى اتصالها الدائم بالله تعالى عن طريق عبادتها، قياماً وصياماً.

كانت رضي الله عنها شأن أمهات المؤمنين جميعاً، موضع حفاوة واحترام وتقدير من أجلاء الصحابة. تصلها أعطياتها، ومخصصاتها من بيت المال، فتتفقا كلها على المساكين والمحتاجين والفقراء والمعوزين، تأسيساً بسيد الخلق صلوات الله وسلاماته عليه، الذي علمهن أعظم الأمثولات، وأسمى الدروس.

وكانت رضي الله عنها تقصد الحج عندما يؤذن المؤذن بالرحيل، فتؤدي المناسك بقلب طاهر خاشع، ثم تعود إلى المدينة حيث مستقرها بجوار الحبيب صلوات الله وسلاماته عليه فتقيم في بيتها عابدة خاشعة، وتستأذن في زيارة الرمس الطاهر بين الحين والحين لتقف عنده بكل صفائها وحبها واحترامها مسترجعة أيام الذكرى متشوقة ليوم اللقاء في الجوار الكريم.

موقفها من الفتن

وعصفت في أيام خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه الفتن بالمسلمين، وذر قرنهما وأطلت على

فِيَاكَ التَّحْرِيرُ

فِي وَجْهِ الْبَاطِلِ قَدْ وَقَفُوا
بِالْحَقِّ مِرَاراً قَدْ صَدَعُوا
حَمَلُوا الْإِسْلَامَ بِلَا نَزِيغٍ
لَا قَوْلًا فِي ذَلِكَ أَهْوَاكُمُ
نَهَضُوا وَالْأُمَمُ تَائِهَةٌ
لَا تَدْرِي مَصْدَرَ عِزَّتِهَا
تَبَعَتْ مَنْ يَذْبَحُهَا جَهْلًا
تَرْجُونَ صَفَاً مِنْ ظَالِمِهَا
قَامُوا أَنْتَفَضُوا لِمَا وَجَدُوا
فَتَيَانُ أَحْرَاراً وَكُودُوا
مِنْ صُلْبِ رَجَالٍ قَدْ صَدَقُوا
خَبَابُ جَدُّهُمْ وَبِلَا
فَتَيَانٍ لَمْ يَخْشَوْا بَطْشاً
قَدْ بَجَشُوا وَاجْتَهَدُوا حَتَّى
بَدَأُوا التَّغْيِيرَ بِتَثْقِيفِ
مِرْسَخُوا عِلْمًا ثُمَّ أَنْطَلَقُوا
ضَرَبُوا لِلْبَاطِلِ أَفْكَاراً
طَرَحُوا الْأَحْكَامَ مُبَيَّنَةً
فَضَحُوا الْمُسْتَعْمَرَ إِذَا أَلْقَى
كَشَفُوا مَا يَنْسُجُ مِنْ خِطَطٍ
ظَلُّوا الْعَقِيدَةَ حَرَساً

ضِدَّ التَّيَّارِ وَمَا انْخَرَفُوا
عَنْهُ يَوْمًا لَمْ يَنْصَرَفُوا
مَرَفُضُوا أَضْغَاثَ مَنْ انْخَرَفُوا
خَمَشَتْهُمْ لَكِنْ مَا ضَعُفُوا
وَيَكَاذِبُ غَشَّيَهَا التَّلَفُ
وَيُعَادِي سَالَفَهَا الْخَلَفُ
وَلَهَا بِمَبَادئِهِ شَغَفُ
أَوْ يُرْجَى مِنْ كُفْرٍ نَصَفُ؟
أَحْفَاذُ الْهَادِينَ اعْتَسَفُوا
مِنْ عِزٍّ فِي الْمَهْدِ امْتَشَفُوا
لَمَّا كَانُوا كَانِ الشَّرْفُ
لَقَدْ وَثَّيَهُمْ إِذْ هُمْ حَنَفُوا
فَكَأَنَّ أَعَادِيَهُمْ نُطْفُ
مَا يُحْيِي أُمَّتَهُمْ عَرَفُوا
مِنْ نَبْعٍ صَافٍ قَدْ غَرَفُوا
يُعْطُونَ الْأُمَمَ مَا تُثَقُّو
وَجَلَامِيداً صُمّاً قَصَفُوا
بِلِبَاسِ الْإِسْلَامِ التَّحَفُوا
فَكَأَنَّهُمْ إِنْ كَالَقَفُوا
ضَرْبُ الْإِسْلَامِ هُوَ الْهَدَفُ
وَعَلَى هَذَا جَزْماً حَلَفُوا

لقيادة أمتهم عملوا لخلافه مرشد قد هتفوا
لنصرة ظلوا طلاباً والنصرة باتت تزدلف
كونوا معهم وأعينهم فاليوم الفرصة تختلف
إذ ليس العامل من قبل كالآتي من بعد يصف
فالنصر قريب هل شيء إن مربي أعطانا يقف؟ □

تتمة ص ٨٢

لهم، وَأَبَوْا إِلَّا أَنْ يَشْتَرُطُوا الْوَلَاءَ لَهُمْ، فَذَكَرَتْهُ عَائِشَةُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَفْعَلْتُ، فَفَعَلْتُ. فَقَامَ
النَّبِيُّ ﷺ، فَخَطَبَ النَّاسَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، قَالَ: مَا بَالُ رِجَالٍ يَشْتَرُطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ
فِي كِتَابِ اللَّهِ، قَالَ: فَكُلُّ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَهُوَ بَاطِلٌ، كِتَابُ اللَّهِ أَحَقُّ وَشَرْطُهُ أَوْثَقُ، وَالْوَلَاءُ
لِمَنْ أَعْتَقَ، متفق عليه. فالحديث يدل بمنطوقه على أَنَّ الشرط المخالف لما في كتاب الله وسُنَّة
رسوله لا يجوز الالتزام به، ولأنَّ شروطَ حماية الملكية الفكرية تجعل الانتفاع بالعين المبيعة
مَقْصُورًا على انتفاع دون انتفاع آخر، فهي شروط باطلة ومخالفة لما في كتاب الله وسُنَّة رسوله،
لكونها مُخَالِفَةٌ لِمَقْتَضَى عقد البيع الشرعي الذي يُمكن المشتري مِنَ التَّصَرُّفِ والانتفاع بالعين
بأي وجه من الوجوه الشرعية كالبيع والتجارة والتصنيع والهِبَة. وإنَّ الشروط التي تحرم الحلال
شروط باطلة لقوله ﷺ: «وَالْمُسْلِمُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ إِلَّا شَرْطًا حَرَّمَ حَلَالًا أَوْ أَحَلَّ حَرَامًا»، رواه
الترمذي بسند صحيحه الألباني. وعليه فإنه لا يجوز شرعاً أَنْ تكون حقوق الطبع أو النسخ أو
براءة الاختراع محفوظة، بل هي حقوق مُباحة.

ولا تُحاسب الدولة ولا تمنع أيًا من الشركات أو الأفراد تحت حُكمها مِنَ التَّصَرُّفِ والانتفاع
بما استوردوه أو نقلوه من دول أخرى، وذلك ضمن حدود الشرع، مثل تحليل الأدوية المحمية دولياً
براءة اختراع ثم إعادة تصنيعها وفق الأسس الطبية الصحيحة وبيعها، أو إعادة طبع المقالات
العلمية ونشرها دون إذن من كاتبها أو ناشرها.

ولا يُنظر إلى ما يُسمى باتفاقية حقوق الملكية الفكرية (TRIPS)، أو الاتفاقية العامة
للتعريفات والتجارة (GATT)، حيث إنَّ هذه الاتفاقيات مُحَرَّمَةٌ شرعاً وشروطها لا تُلزم
المسلمين، أما العقوبات الدولية أو المقاطعة التجارية التي قد تستخدمها الدول الأخرى أو الأمم
المتحدة ضدَّ الدولة الإسلامية في حال خرق هذه الاتفاقيات فهي مسألة سياسية ينبغي للدولة
التعامل معها دون التنازل أو مخالفة الشرع، ويمكن أن يستخدم الإعلام لمحاولة كشف الجشع
الرأسمالي واستغلاله لهذه الاتفاقيات لحرمان الدول والشعوب الفقيرة من الانتفاع بخيرات العلم،
ومحاولة استمالة الرأي العالمي من أجل كسر هذه الاتفاقيات والتخلص من تبعاتها □

بسم الله الرحمن الرحيم
كلمة أخيرة

من يرسم دور الدول الصغيرة؟



نفسه، فما هو السر وراء ذلك كله؟ يبدو والله أعلم أن اللاعبين الكبار في السياسة الدولية يوزعون الأدوار بين الدول الصغيرة والدول الكبيرة، فيكلفون الدول الكبيرة التي تدور

هناك دول صغيرة تقوم بأدوار كبيرة، وهناك دول كبيرة تقوم بأدوار صغيرة، وهناك دول لا تقوم بأي دور سواء أكانت كبيرة أم صغيرة، أما ما يخفى على الناس فهو معرفة من يقوم

في فلكنهم من الدول العميلة لهم بإشعال الحرائق في مختلف المناطق، ثم تكلف الدول الصغيرة بدور الإطفائي لكي تكتمل اللعبة القذرة التي تتلاعب في دماء الشعوب، ثم تعود لإشعال النار من جديد ريثما تتضج الطبخة الدولية على نار الحروب المستعرة، فيتحقق الهدف المطلوب وتنتهي المسرحية الأميركية - الأوروبية للهيمنة على شتى البلدان والدول المتفلتة من الرضوخ للنفوذ الأميركي - الأوروبي الذي لا يتوقف عن التمدد والانتشار... والصراع هل تبقى الأمة نهياً للأطماع الأميركية والأوروبية وما بينهما؟ كلا لن تبقى هكذا لأنها أمة خير وعطاء، ولأنها أصبحت أكثر وعياً وأكثر قدرة على رد كيد الأعداء، وأكثر استعداداً للتضحية، مهما تعاظم التضليل والقمع والتعتيم، وتكاثرت السجون والمعتقلات السرية والعلنية، فهذه أمة الخير وخير أمة أخرجت للناس، وهي منصورة بإذن الله تعالى

بتحديد الأدوار والأحجام والسياسات؟ لو أخذنا عينة من هذه الدول ولتكن قطر مثلاً، لوجدنا أن النظام القطري يقوم بأدوار تعجز عنها الأنظمة المصرية والسعودية والتركية، وهذا سر من أسرار الصراع الدولي وأدواته المحلية التي تعمل في خدمة الخارج مقابل بقائها في السلطة، ولو دققنا أكثر لوجدنا أن قطر كانت فاعلة في التوسط بين النظام اليمني وبين الحوثيين، وكان للنظام القطري دور في حل الخلافات بين فريقين النزاع في لبنان بعد أحداث ما سُمي بسبعة أيار، وكان للنظام القطري دور في دارفور وجنوب السودان وتشاد وغزة وغيرها. لو قارنا مصر بقطر نجد أن مصر التي كانت تقود الحركة السياسية في الماضي مع بعض المنافسة السعودية على تزعم قافلة العرب، نجد أن مصر عجزت منذ بضعة سنوات وحتى هذه اللحظة عن إجراء مصالحة بين فتح وحماس، كما عجزت السعودية قبلها عن تحقيق الأمر

لماذا يُرفض التفاوض من حيث المبدأ؟

- في البداية رفض التفاوض يعود لأسباب مبدئية مصدرها ديننا وعقيدتنا التي ترفض التخلي عن أي شبر من بلاد المسلمين لأي غاصب ومحتل لئيم، مهما كلف تحرير ذلك الشبر من تضحيات، وليس له علاج سوى العلاج الجذري الذي فرضه الإسلام، لكن تبسيطاً للنتائج التي يحلم بها المراهنون على تخليص ١٢: من فلسطين وبناء شبه دولة عليها، نقول لهم وللمصنفين لدورهم التأمري، فكروا حتى بطريقتكم المصلحية الانتهازية تجدونها فاشلة ومجرد دمية من دمي الاحتلال.
- كل إنسان عاقل يدرك أن دولة الاحتلال اليهودية لا تريد أن تتخلى عن معظم أراضي فلسطين المحتلة، وحتى الأطفال يعرفون أن اليهود لا يُعطون الناس نقيراً، وحتى لو افترضنا أنها أعطت المفاوضين بضعة كيلومترات من فلسطين لكي يرفعوا عليها قطعة قماش ملونة فماذا سيكون عليه حال الناس الذين يقطنون هذه المنطقة (المحررة)؟
- لو بسطناها وسخفناها لن تكون هذه "الموناكو" الصغيرة أو الدولة الفلسطينية الموعودة بحجم مصر وقوتها ولا بحجم تركيا وقوتها، ولا بحجم العراق وقوته أيام حكم صدام حسين، ولا بحجم السودان وقوته، ولا بحجم سوريا وقوتها، فهل تركت إسرائيل هذه الدول من شرها ومكرها؟ كيف حركت دول منابع النيل للضغط على مصر؟ وكيف حركت الجواسيس ضدها، وكيف فرضت كامب ديفيد المذل عليها؟ أما تركيا فكيف جعلتها تتراجع بعد غضبتها المُضريّة بعد الاعتداء على أسطول الحرية وحركت حزب العمال الكردستاني ضدها؟ وكيف تتلاعب في جنوب السودان ودارفور؟ وكيف دمرت ما قيل إنه مفاعل نووي في سوريا ورفضت الانسحاب من الجولان منذ أربعة عقود؟ وكيف ساعدت أميركا للفتك بالعراق وتدميره وسرقة خيراته ونفطه وتحريك الغرائز المذهبية.
- من بدهيات التفاوض توازن القوى المتفاوضة، فأين التوازن بين أبي مازن وفريقه التفاوضي الذي لا يتحرك داخل الضفة ولا خارجها إلا بترخيص (إسرائيلي)، وبين دولة مزودة بأحدث الأسلحة وبدعم أوروبي أمريكي، وبدعم سري من قبل عدد لا بأس به من حكام المنطقة؟ ولماذا تتنازل (إسرائيل) لأناس لا يملكون من أسباب القوة شيئاً؟ إن المجانين فقط يتنازلون. ولا نظن المفاوض (الإسرائيلي) جنٌ وفقد عقله.
- تزامن وصول المفاوضين مع عملية قتل أربعة مستوطنين في الخليل، فماذا قال المتعجرف نتانياهوه؟ قال لن نترك الإرهاب يحدد حدودنا، أو يحدد البقعة التي يعيش فيها (الإسرائيليون)، أي لا حدود لأطماعه الاستيطانية، وأعلن مجلس المستوطنات استئناف الاستيطان بعد الانتهاء من دفن القتلى، وكل مفاوضات وأنتم بخير!!

